فيض الباري

في أخبار

الإمام البخاري

تأليف

أبي زكريا بشير بن فيصل بن يحيى بن غالب الجعشني الإبي

غفر الله له ولوالديه وسائر المسلمين آمين

تقديم الشيخ الفاضل

أبي عبد الله فيصل بن عبده بن قائد الحاشدي

مسجد أهل السنة والجماعة . جامع الرحمن . شحن . المهرة حرسها الله

الطبعة الأولى

٢٩/ذي القعدة / ١٤٤٧هـ

فيض الباري

في أخبار

الإمام البخاري

مقدمة الشيخ فيصل الحاشدي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي شرَّف هذه الأمةَ بحفظِ السُّنَّة، وأقام لها رجالًا نذروا أعمارَهم لخدمةِ حديثِ نبيِّها ﷺ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِ المرسلين، وإمامِ المحدِّثين، نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبِه أجمعين، أمَّا بعد:

فقد وقفتُ على رسالةِ أخينا الطالبِ النجيبِ، والداعيةِ الأديبِ بشير الجعشني، الموسومة بـ: «**فيضُ الباري في ترجمةِ الإمامِ البخاري**»، فرأيتُها رسالةً مباركةً، حَسَنَةَ الترتيبِ والسبك، قد أبان فيها مؤلِّفُها عن محبّةٍ ظاهرةٍ للإمامِ محمد بن إسماعيل البخاري، وتعظيمٍ لمكانتِه في خدمةِ السنةِ النبوية.

وقد جمع فيها طرفًا من سيرةِ هذا الإمامِ الجليل، وذكر شيئًا من رحلاتِه، وشيوخِه، ومناقبِه، وجهادِه في جمعِ الحديثِ وتمحيصِه،

بأسلوبٍ سهلٍ عذب، وعبارةٍ رائقةٍ، تدل على عنايةٍ بالعلم، وحرصٍ على نشرِ سيرِ الأئمةِ وإحياءِ ذكرِهم بين طلابِ العلم.

كما ظهر في الرسالةِ حُسنُ الترتيب، وجمالُ الانتقاء، ولطافةُ العرض، مع فوائدَ نافعةٍ وإشاراتٍ حسنة، تزيد القارئَ محبةً لأئمةِ الحديث، وتعظيمًا لجهودِهم في حفظِ دينِ الله تعالى.

فجزى اللهُ أخانا المؤلفَ خيرَ الجزاءِ على ما قدّم، ونفع برسالتِه، وبارك في علمِه وعملِه، وزاده توفيقًا وسدادًا، وجعله من خُدّامِ السنةِ وأنصارِها، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وَكَتَبَهُ أَبُو عَبْدِالله

فَيْصَلُ الحَاشِدِي

فِي ٣٠ مِنْ ذِي القَعْدَةِ ١٤٤٧

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَجْعَلَ العِلْمَ حَيَاةً لِلْقُلُوبِ، وَنُورًا لِلْبَصَائِرِ، وَرَفَعَ مَقَامَ أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سُورَةُ المُجَادَلَةِ: ١١].

وَجَعَلَ العُلَمَاءَ هُمْ أَهْلَ خَشْيَتِهِ الحَقِيقِيَّةِ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٢٨].

وَقَدْ جَاءَتْ سُنَّةُ المُصْطَفَى ﷺ مُؤَكِّدَةً لِهَذَا الفَضْلِ العَظِيمِ؛ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ العِلْمِ، ج ٣، ص ٣١٧، رَقْم ٣٦٤١].

وَإِذَا كَانَ العِلْمُ بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ، فَإِنَّ أَعْلَى العُلُومِ شَرَفًا، وَأَعْظَمَهَا قَدْرًا بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، هُوَ عِلْمُ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ؛ الذِي بِهِ تُعْرَفُ السُّنَنُ، وَتُضْبَطُ الأَحْكَامُ. وَقَدْ قَيَّضَ اللهُ لِهَذَا العِلْمِ رِجَالًا جَهَابِذَةً، نَفَوْا عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ.

وَفِي طَلِيعَةِ هَؤُلَاءِ الأَعْلَامِ، وَعَلَى رَأْسِ أُولَئِكَ الحُفَّاظِ، يَقِفُ جَبَلُ الحِفْظِ وَالإِتْقَانِ، وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فِي الحَدِيثِ: الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-. ذَلِكَ الإِمَامُ الذِي طَبَّقَتْ شُهْرَتُهُ الآفَاقَ، وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى إِمَامَتِهِ، وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ، وَصِحَّةِ كِتَابِهِ.

قَالَ فِيهِ شَيْخُهُ الإِمَامُ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: "مَا رَأَيْتُ مُنْذُ عَقَلْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ فِي زَمَانِهِ كَعُمَرَ فِي الصَّحَابَةِ" [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ١٨].

وَقَالَ تِلْمِيذُهُ الإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ -رَحِمَهُ اللهُ- مُعَظِّمًا لَهُ: "لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ" [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٣٨].

وَقَدْ صَدَقَ فِيهِ وَفِي أَمْثَالِهِ مِنَ العُلَمَاءِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا الفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ العِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ

وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالجَاهِلُونَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

[دِيوَانُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٢٣].

وَقَدْ سَطَّرَ العُلَمَاءُ فِيهِ مَدَائِحَ شِعْرِيَّةً تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي مَدْحِ البُخَارِيِّ وَكِتَابِهِ:

أَضْحَى ابْنُ إِسْمَاعِيلَ رَأْسًا فِي الهُدَى ... وَمُقَدَّمًا فِي سَائِرِ العُلَمَاءِ

مَا سَافَرَ العِلْمُ الشَّرِيفُ إِلَى الوَرَى ... كَسَفَارَةِ المَقْبُولِ فِي الأَرْجَاءِ

قَدْ هَذَّبَ الآثَارَ حَتَّى أَصْبَحَتْ ... نُورًا يُضِيءُ لِأُمَّةِ البَطْحَاءِ

[مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٩١].

وَمِنْ هُنَا، وَرَغْبَةً فِي جَمْعِ أَشْتَاتِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ المُبَارَكَةِ، وَتَقْرِيبِ مَنَاقِبِ هَذَا الإِمَامِ الهُمَامِ لِطُلَّابِ العِلْمِ، قُمْتُ بِجَمْعِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ المسماة: [**فيض الباري في أخبار الإمام البخاري**] الَّتِي تَسْتَعْرِضُ: نسبه ونشأته وحياته ورُؤَاهُ المَنَامِيَّةَ الثَّابِتَةَ،

وَأَقْوَالَ أَهْلِ العِلْمِ فِيهِ، وَشَهَادَاتِ الأَقْرَانِ، وَجَانِبًا مِنْ عِبَادَتِهِ وَوَرَعِهِ، وَجِهَادِهِ فِي نَشْرِ السُّنَّةِ، وَمُصَنَّفَاتِهِ، وَتَفَاصِيلَ وَفَاتِهِ.

سَائِلًا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْظِمَ النَّفْعَ بِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَمُوجِبَةً لِرِضْوَانِهِ العَظِيمِ، وَأَنْ يَجْزِيَ الإِمَامَ البُخَارِيَّ عَنِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ خَيْرَ الجَزَاءِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كتبه الفقير إلى عفو ربه:

أبو زكريا بشير بن فيصل بن يحيى بن غالب الجعشني الإبي

غفر الله له ولوالديه وسائر المسلمين آمين

مسجد أهل السنة والجماعة - جامع الرحمن - شحن - المهرة حرسها الله

يوم السبت/ ٢٩/ ذو القعدة / ١٤٤٧هـ

ترجمة الإمام البخاري رحمه الله تعالى

إِلَيْكَ كَلِمَاتٍ يَسِيرَةً، مُوجَزَةً "بَيْنَ يَدَيْ التَّرْجَمَةِ" وقَبْلَ الدُّخُولِ فِي التَّفَاصِيلِ.

إِنَّ الكِتَابَةَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الحِفْظِ، وَعَلَمٍ مِنْ أَعْلَامِ الأُمَّةِ كَالإِمَامِ البُخَارِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ-، لَيْسَتْ نَافِلَةً مِنَ القَوْلِ، بَلْ هِيَ وَاجِبٌ عِلْمِيٌّ، وَضَرُورَةٌ مَنْهَجِيَّةٌ؛ خَاصَّةً فِي زَمَنٍ كَثُرَ فِيهِ الغَمْزُ وَاللَّمْزُ فِي حِيَاضِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المِعْوَانَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ جَمْعِي لِهَذِهِ التَّرْجَمَةِ المُبَارَكَةِ مِنْ بَابِ سَرْدِ التَّارِيخِ فَحَسْبُ، بَلْ لِتَقْرِيبِ مَعَالِمِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الفَذَّةِ لِطُلَّابِ العِلْمِ، وَبَيَانِ كَيْفَ صَنَعَ اللهُ هَذَا الإِمَامَ عَلَى عَيْنِهِ لِيَكُونَ حَارِسًا لِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَسَيَجِدُ القَارِئُ فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ لَمَحَاتٍ صَادِقَةً عَنْ:

* نُبُوغِهِ المُبَكِّرِ وَكَيْفَ أُلْهِمَ الحِفْظَ وَهُوَ غُلَامٌ.
* تَجَرُّدِهِ العِلْمِيِّ وَعَدَمِ تَعَصُّبِهِ لِلرِّجَالِ أَوِ المَذَاهِبِ.
* أَخْلَاقِهِ المُرْضِيَةِ مِنْ كَرَمٍ، وَوَرَعٍ، وَسَخَاءٍ بَاهِرٍ.

* مَكَانَةِ كِتَابِهِ "الصَّحِيحِ" وَكَيْفَ دَافَعَ عَنْهُ جَهَابِذَةُ العِلْمِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

نَقْتَرِبُ مِنْ سِيرَتِهِ لَا لِنَمْدَحَهُ -فَقَدْ كَفَاهُ مَدْحُ الأَئِمَّةِ وَقَبُولُ الأُمَّةِ-، وَلَكِنْ لِنَقْتَبِسَ مِنْ نُورِ عِلْمِهِ وَإِخْلَاصِهِ مَا يُنِيرُ لَنَا طَرِيقَ الطَّلَبِ.

أَقُولُ مُسْتَعِينٌ بِاللهِ فِي بَدْءِ هَذِهِ السِّيرَةِ العَطِرَةِ

نسب الإمام البخاري

هُوَ: الإِمَامُ العَلَمُ، أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فِي الحَدِيثِ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ المُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَةَ الْمُسْنَدِي الجُعْفِيُّ -بِالْوَلَاءِ- البُخَارِيُّ.

* **مَعْنَى بَرْدِزْبَهْ:** كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ تَعْنِي (الزَّرَّاعَ) أَوْ (الفَلَّاحَ)، وَكَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ المَجُوسِيَّةِ وَمَاتَ عَلَيْهَا.

* **سَبَبُ النِّسْبَةِ إِلَى الجُعْفِيِّ:** أَنَّ ابْنَهُ المُغِيرَةَ (جَدَّ البُخَارِيِّ) أَسْلَمَ عَلَى يَدِ وَالِي بُخَارَى نُوحِ بْنِ أَسَدٍ الجُعْفِيِّ (وَقِيلَ يَمَانٍ الجُعْفِيِّ)، فَانْتَسَبَ إِلَيْهِمْ بِوَلَاءِ العَتَاقَةِ وَالإِسْلَامِ، لِأَنَّ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِ رَجُلٍ كَانَ وَلَاؤُهُ لَهُ وَلِقَبِيلَتِهِ.

[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٣٩١-٣٩٢]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ٤].

والد الإمام البخاري

عِلْمُهُ وَوَرَعُهُ وَوَفَاتُهُ

كَانَ وَالِدُهُ إِسْمَاعِيلُ مِنَ العُلَمَاءِ الأَجِلَّاءِ الوَرِعِينَ، وَمِنْ أَصْحَابِ الحَدِيثِ المَعْرُوفِينَ بِالرِّحْلَةِ وَالضَّبْطِ.

* **حَالُهُ فِي العِلْمِ**: رَحَلَ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَسَمِعَ مِنْ كِبَارِ الأَئِمَّةِ؛ مِثْلَ: مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (صَاحِبِ المُوَطَّأ)، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ، وَصَافَحَ عَبْدَ اللهِ بْنَ المُبَارَكِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ. وَقَدْ رَوَى عَنْهُ العِرَاقِيُّونَ وَأَهْلُ خُرَاسَانَ.

* **شِدَّةُ وَرَعِهِ فِي المَالِ**: كَانَ تَاجِرًا صَاحِبَ مَالٍ وَثَرْوَةٍ، لَكِنَّهُ بَلَغَ الغَايَةَ فِي التَّحَرِّي عَنِ الحَلَالِ. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ: "دَخَلْتُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ وَالِدِ أَبِي عَبْدِ اللهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ فِي جَمِيعِ مَالِي دِرْهَمًا مِنْ حَرَامٍ، وَلَا دِرْهَمًا مِنْ شُبْهَةٍ". فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ: "تَصَاغَرَتْ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ". وَهَذَا المَالُ الطَّيِّبُ النَّقِيُّ هُوَ الذِي نَشَأَ فِيهِ البُخَارِيُّ فَبَارَكَ اللهُ فِي عِلْمِهِ.

* **تَارِيخُ وَفَاتِهِ**: تُوُفِيَ وَالِدُهُ إِسْمَاعِيلُ وَالإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي سِنِّ الطُّفُولَةِ الصَّغِيرَةِ (لَمْ تُحَدِّدِ المَصَادِرُ السَّنَةَ بِالضَّبْطِ، لَكِنَّهَا أَجْمَعَتْ أَنَّ البُخَارِيَّ نَشَأَ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أُمِّهِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ العَشْرَ

سِنِينَ تَقْرِيبًا). وَتَرَكَ لِأَوْلَادِهِ ثَرْوَةً طَائِلَةً مِنَ المَالِ الحَلَالِ الذِي أَعَانَ البُخَارِيَّ عَلَى رِحْلَاتِهِ الطَّوِيلَةِ دُونَ الحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ أَوْ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ.

المَرْجِع: [طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى، لِتَاجِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، دَارُ هَجْرٍ، ج ٢، ص ٢١١-٢١٢]، وَ[فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٧٧].

والدة الإمام البخاري

صَلَاحُهَا وَكَرَامَتُهَا

لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ التَّرَاجِمِ اسْمَ وَالِدَةِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ نَصًّا، لَكِنَّهَا أَفَاضَتْ فِي ذِكْرِ صَلَاحِهَا، وَوَلَايَتِهَا، وَقُنُوتِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ الَّتِي قَامَتْ عَلَى تَرْبِيَتِهِ وَتَوْجِيهِهِ بَعْدَ يُتْمِهِ.

* **كَرَامَةُ رَدِّ البَصَرِ**: أُصِيبَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي صِغَرِهِ بِعَمًى فِي عَيْنَيْهِ، فَذَهَبَ بَصَرُهُ كُلِّيًّا، فَحَزِنَتْ أُمُّهُ حُزْنًا شَدِيدًا، وَلَمْ تَكُنْ تَفْتُرُ عَنِ البُكَاءِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَلَى وَلَدِهَا بَصَرَهُ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا نَبِيَّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلَ

-عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَهُوَ يَقُولُ لَهَا: "يَا هَذِهِ، قَدْ رَدَّ اللهُ عَلَى ابْنِكِ بَصَرَهُ بِكَثْرَةِ بُكَائِكِ، أَوْ كَثْرَةِ دُعَائِكِ".

قَالَ الرَّاوِي (وَهُوَ غُنْجَارٌ فِي تَارِيخِ بُخَارَى): "فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ".

* **رِحْلَتُهَا مَعَهُ**: كَانَتْ صَاحِبَةَ هِمَّةٍ عَالِيَةٍ؛ فَهِيَ الَّتِي خَرَجَتْ بِهِ وَبِأَخِيهِ أَحْمَدَ مِنَ البِلَادِ النَّائِيَةِ فِي خُرَاسَانَ إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ سَنَةَ (٢١٠ هـ) لِأَجْلِ الحَجِّ وَطَلَبِ العِلْمِ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي العِلْمِ.

المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، ج ٢، ص ٧]، وَ[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٣٩٣]، وَ[البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، لِابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ هَجْرٍ، ج ١٤، ص ٥٢٧].

بلد الإمام البخاري

وُلِـدَ الإِمَـامُ البُخَـارِيُّ -رَحِمَـهُ اللهُ- فِـي مَدِينَـةِ (بُخَـارَى)، وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ فَيُقَالُ لَهُ "البُخَارِيُّ".

وَمَدِينَـةُ بُخَـارَى تَقَـعُ فِـي إِقْلِـيمِ (مَـاوَرَاءَ النَّهْـرِ) تَارِيخِيًّـا، وَهِـيَ تَقَـعُ اليَـوْمَ ضِـمْنَ دَوْلَـةِ (أُوزْبَكِسْـتَانَ) فِـي آسْـيَا الوُسْـطَى، وَكَانَـتْ هَـذِهِ المَدِينَـةُ -وَلَا تَـزَالُ- مِـنْ أَعْظَـمِ حَوَاضِـرِ الإِسْـلَامِ العِلْمِيَّـةِ، وَأَخْرَجَتْ لِلأُمَّةِ جَهَابِذَةً فِي كُلِّ العُلُومِ.

*** تَارِيخُ وَمَكَانُ المَوْلِدِ:**

وُلِـدَ الإِمَـامُ البُخَـارِيُّ فِـي مَدِينَـةِ بُخَـارَى يَـوْمَ الجُمُعَـةِ، لِـثَلَاثَ عَشْـرَةَ لَيْلَـةً خَلَـتْ مِـنْ شَـهْرِ شَـوَّالٍ، سَـنَةَ أَرْبَـعٍ وَتِسْـعِينَ وَمِائَـةٍ (١٩٤ هـ).

المَرْجِـع: [سِـيَرُ أَعْـلَامِ النُّـبَلَاءِ، لِلْحَـافِظِ الـذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَـةُ الرِّسَـالَةِ، ج ١٢، ص ٣٩٣].

صفاته الخَلقيَّة وهيئته

الصِّفَاتُ الخَلْقِيَّةُ لِلإِمَامِ البُخَارِي

لَـمْ يَكُـنِ الإِمَـامُ البُخَـارِيُّ ضَـخْمَ البِنْيَـةِ، بَـلْ كَـانَ جَسَـدُهُ يَمِيـلُ إِلَـى النَّحَافَـةِ وَالقِلَّـةِ، مَشْـغُولًا بِـالعِلْمِ وَالعِبَـادَةِ، وَفِيمَـا يَلِـي أَبْـرَزُ صِفَاتِهِ التِّي نَقَلَهَا المُؤَرِّخُونَ:

* **الطُّـولُ وَالبِنْيَـةُ**: كَـانَ رَحِمَـهُ اللهُ نَحِيـفَ الجِسْـمِ (نَحِـيلًا)، لَـيْسَ بِالطَّوِيـلِ البَـائِنِ وَلَا بِالقَصِيرِ، بَـلْ كَـانَ مَرْبُـوعَ القَامَـةِ (مُعْتَـدِلَ الطُّولِ).

* **اللَّوْنُ**: كَانَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ (سُمْرَةً خَفِيفَةً).

* **الوَجْـهُ وَالعَيْنَـانِ**: كَـانَ وَجْهُـهُ يَشِـعُّ نُـورًا وَهَيْبَـةً، وَقَـدْ مَـرَّ بِنَـا أَنَّـهُ أُصِـيبَ بِـالعَمَى فِـي صِـغَرِهِ ثُـمَّ رَدَّ اللهُ عَلَيْـهِ بَصَـرَهُ بِـدُعَاءِ أُمِّـهِ، فَكَـانَ حَـادَّ البَصَـرِ جِـدًّا حَتَّـى كَـانَ يَكْتُـبُ فِـي اللَّيَـالِي المُقْمِـرَةِ عَلَـى ضَوْءِ القَمَرِ.

* **اللِّحْيَـةُ**: كَانَـتْ لِحْيَتُـهُ خَفِيفَـةَ العَارِضَـيْنِ، فِيهَـا شَـعَرَاتٌ بِيضٌ عِنْدَ كِبَرِهِ.

صِفَاتُ هَيْئَتِهِ وَلِبَاسِهِ وَحَالِهِ عُمُومًا

* **قِلَّةُ الأَكْلِ وَالهُزَالُ**: كَانَ نَحِيفًا جِدًّا لِقِلَّةِ أَكْلِهِ؛ حَيْثُ نَقَلَ تِلْمِيذُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ (وَرَّاقُ البُخَارِيِّ) أَنَّ الإِمَامَ كَانَ يَعِيشُ الأَيَّامَ الطَّوِيلَةَ عَلَى تَنَاوُلِ (اللَّوْزِينَجِ) أَوْ كِسَرِ الخُبْزِ الجَافِ مَعَ السُّكَّرِ، وَكَانَ يَمْتَنِعُ عَنِ الإِدَامِ (التَّفَنُّنِ فِي الطَّعَامِ) طَلَبًا لِلْآخِرَةِ، حَتَّى عَابَهُ طَبِيبُهُ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ: "إِنَّ هَذَا لَيُجَفِّفُ دِمَاغَكَ!"، فَمَا غَيَّرَ حَالَهُ.

اللَّوْزِينَج هُوَ: نَوْعٌ مِنَ الحَلَوِيَّاتِ الشَّرْقِيَّةِ القَدِيمَةِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ نِسْبَةً إِلَى "اللَّوْزِ" الَّذِي هُوَ مُكَوِّنُهُ الأَسَاسِيُّ. يُصْنَعُ مِنْ عَجِينَةٍ رَقِيقَةٍ تُحْشَى بِاللَّوْزِ المَطْحُونِ وَالسُّكَّرِ، ثُمَّ تُسْقَى بِالعَسَلِ، وَهُوَ يُشْبِهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا (البَقْلَاوَةَ أَوِ القَطَائِفَ).

المرجع: ذكر اللوزينج في سير أعلام النبلاء – للإمام الذهبي: الجزء الثاني عشر (ج ١٢)، صفحة ٤١٢، طبعة مؤسسة الرسالة. وتاريخ بغداد – للخطيب البغدادي: الجزء الثاني (ج ٢)، صفحة ٣٢٥، طبعة دار الغرب الإسلامي.

* **الهَيْبَةُ وَالوَقَارُ**: كَانَ إِذَا مَشَى أَوْ جَلَسَ تَعْلُوهُ سَكِينَةٌ عَظِيمَةٌ وَهَيْبَةٌ، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُ، وَكَانَ قَلِيلَ الضَّحِكِ، إِذَا تَبَسَّمَ تَبَسَّمَ بِأَدَبٍ.

* **اللِّبَاسُ**: كَانَ زَاهِدًا فِي لِبَاسِهِ، يَجْتَنِبُ مَظَاهِرَ الخُيَلَاءِ، لَكِنَّهُ كَانَ نَظِيفَ الثِّيَابِ، رَبَّمَا لَبِسَ العِمَامَةَ وَالخُفَّيْنِ عِنْدَ سَفَرِهِ وَمَجَالِسِ حَدِيثِهِ تَعْظِيمًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ.

المَرَاجِعِ: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٤٨ - ٤٥٢]. [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ٢٢-٢٥]. [مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٨١].

كرم الإمام البخاري وسخائه

كَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- نَمُوذَجًا فَرِيدًا فِي السَّخَاءِ وَالكَرَمِ، وَلَمْ يَكُنْ جَمْعُهُ لِلْمَالِ إِلَّا لِيُنْفِقَهُ فِي مَرْضَاةِ اللهِ، وَعَوْنِ طُلَّابِ العِلْمِ، وَالفُقَرَاءِ. وَقَدْ وَرِثَ عَنْ وَالِدِهِ مَالًا كَثِيرًا حَلَالًا، فَكَانَ يَتَّجِرُ بِهِ عَبْرَ المُضَارَبَةِ وَيُنْفِقُ مِنْ أَرْبَاحِهِ.

١. نَفَقَتُهُ العَظِيمَةُ عَلَى طُلَّابِ العِلْمِ وَالفُقَرَاءِ

كَانَ البُخَارِيُّ يُنْفِقُ كُلَّ شَهْرٍ مَبَالِغَ طَائِلَةً، وَلَا يَدَّخِرُ لِنَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا القَلِيلَ الذِي يُقِيمُ أَوَدَهُ.

* مِقْدَارُ نَفَقَتِهِ:

يَقُولُ تِلْمِيذُهُ وَوَرَّاقُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَرْكَبُ إِلَى النَّضْلِ (أَيْ رَمْيِ السِّهَامِ) كَثِيرًا، وَكَانَ يَتَصَدَّقُ بِالكَثِيرِ، وَيُعْطِي الحَمَّالِينَ لِلْحَدِيثِ وَالخَدَمَ، وَكَانَ يُنْفِقُ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ عَلَى الفُقَرَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ".

* إِيثَارُهُ عَلَى نَفْسِهِ:

بَلَغَ مِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ كَانَ يُؤْثِرُ الغَيْرَ حَتَّى يَقَعَ هُوَ فِي الضِّيقِ؛ يَقُولُ وَرَّاقُهُ: "مَرِضَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مَرَّةً، فَأَعَزَّ عَلَيْهِ الأَطِبَّاءُ، وَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ الإِدَامَ (أَيْ لَا يَأْكُلُ لَحْمًا أَوْ طَعَامًا دَسِمًا لِيَقْوَى بَدَنُهُ)، فَكَانَ يَأْكُلُ الخُبْزَ وَالسُّكَّرَ فَقَطْ، لِأَنَّهُ كَانَ يُخْرِجُ نَفَقَتَهُ كُلَّهَا لِلْغَيْرِ".

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٤٨]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ٢٣].

٢. قِصَّةُ التَّنَازُلِ عَنِ الرِّبْحِ الكَبِيرِ أَمَانَةً وَكَرَمًا

مِنْ أَعْجَبِ مَوَاقِفِ سَخَائِهِ وَتَرَفُّعِهِ عَنِ الدُّنْيَا، قِصَّتُهُ مَعَ التُّجَّارِ فِي بِضَاعَةٍ اسْتَوْرَدَهَا:

* القِصَّةُ: جَاءَتْ لِلإِمَامِ البُخَارِيِّ بِضَاعَةٌ (مِنَ التِّجَارَةِ الَّتِي كَانَ يُدِيرُهَا)، فَجَاءَهُ بَعْضُ التُّجَّارِ وَطَلَبُوهَا مِنْهُ، وَأَعْطَوْهُ فِيهَا رِبْحًا قَدْرُهُ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: انْصَرِفُوا اللَّيْلَةَ (أَيْ مَهِّلُونِي حَتَّى أُفَكِّرَ).

* **المُفَاجَأَةُ**: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، جَاءَهُ تُجَّارٌ آخَرُونَ، فَطَلَبُوا مِنْهُ البِضَاعَةَ نَفْسَهَا، وَأَعْطَوْهُ رِبْحًا فِيهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ!

* **مَوْقِفُهُ العَظِيمُ**: فَمَاذَا صَنَعَ الإِمَامُ؟ رَفَضَ عَرْضَهُمُ الثَّانِي، وَقَالَ: "إِنِّي نَوَيْتُ البَارِحَةَ أَنْ أَبِيعَهَا لِلَّذِينَ أَتَوْنِي أَوَّلًا، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَنْقُضَ نِيَّتِي!"، فَبَاعَهَا لِلأَوَّلِينَ بِالرِّبْحِ الأَقَلِّ، كَرَمًا مِنْهُ وَمُرُوءَةً، وَتَنَازَلَ عَنْ خَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ زَائِدَةٍ تَطْيِيبًا لِخَوَاطِرِ التُّجَّارِ الأَوَّلِينَ.

المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، ج ٢، ص ٢٤]، وَ[مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٨٠].

٣. التَّسَامُحُ مَعَ المَدِينِينَ وَمَنْ أَكَلُوا مَالَهُ

كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَسْتَقْرِضُونَ مِنْهُ المَالَ أَوْ يَقَعُونَ فِي دُيُونٍ لَهُ مِنْ تِجَارَتِهِ، فَكَانَ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ بِأَعْلَى دَرَجَاتِ الكَرَمِ وَالصَّفْحِ.

* **قِصَّتُهُ مَعَ غَرِيمِهِ**: كَانَ لِلإِمَامِ البُخَارِيِّ مَالٌ كَثِيرٌ عِنْدَ رَجُلٍ غَرِيمٍ (مَدِينٍ) لَهُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُمَاطِلُهُ وَيَتَهَرَّبُ، فَأَشَارَ

عَلَى البُخَارِيِّ أَصْحَابُهُ أَنْ يَشْكُوَهُ إِلَى الوَالِي أَوْ يَأْخُذَ كِتَابًا مِنَ السُّلْطَانِ لِيُلْزِمَهُ بِالدَّفْعِ.

فَقَالَ البُخَارِيُّ: "إِنِّي إِنْ أَخَذْتُ مِنْهُمْ كِتَابًا خِفْتُ أَنْ يَغْضَبُوا، وَإِنْ غَضِبُوا أَعَانُوا عَلَيَّ، وَلَأَنْ آخُذَ مِنْ مَالِي وَأَتَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَتْرُكَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْتَعِينَ بِالسُّلْطَانِ"، وَصَالَحَ الرَّجُلَ عَلَى مَبْلَغٍ زَهِيدٍ جِدًّا، وَتَرَكَ لَهُ بَاقِي المَالِ كَرَمًا وَعِفَّةً.

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٤٥٠].

٤. صِيَانَتُهُ لِنَفْسِهِ بِإِطْعَامِ غَيْرِهِ

كَانَ إِذَا نَزَلَ بَلَدًا فِي رِحْلَاتِهِ، يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الخَلْقُ، فَكَانَ يَسْتَأْجِرُ دَارًا وَيَطْبَخُ الطَّعَامَ لِكُلِّ مَنْ يَأْتِيهِ لِيَسْمَعَ مِنْهُ الحَدِيثَ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ أَنْ يُنْفِقَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، بَلْ كَانَ هُوَ المُنْفِقَ المِطْعَامَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ سَخِيَّ النَّفْسِ، لَا يُبَالِي بِمَا ذَهَبَ مِنَ الدُّنْيَا فِي سَبِيلِ المَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ لِلنَّاسِ".

المَرْجِع: [مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٨١].

حفظه لكتاب الله تعالى

حفظه للقرآن الكريم

نَشَأَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ يَتِيمًا فِي حِجْرِ وَالِدَتِهِ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ لَهُ وَالِدُهُ (**إِسْمَاعِيلُ**) مَالًا حَلَالًا طَيِّبًا. وَقَدْ وَجَّهَتْهُ أُمُّهُ البَارَّةُ إِلَى مَجَالِسِ العِلْمِ مُبَكِّرًا جِدًّا.

* **زمن حِفْظِهِ:**

حَفِظَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ القُرْآنَ الكَرِيمَ كَامِلًا وَهُوَ دُونَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ (**أَيْ فِي مَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ المُبَكِّرَةِ فِي الكُتَّابِ بِمَدِينَةِ بُخَارَى**)، كَمَا كَانَتْ عَادَةُ طُلَّابِ العِلْمِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ؛ حَيْثُ لَا يَبْدَؤُونَ طَلَبَ الحَدِيثِ إِلَّا بَعْدَ إِتْقَانِ كِتَابِ اللهِ.

* **بَرَكَةُ دُعَاءِ أُمِّهِ (قِصَّةُ عَوْدَةِ بَصَرِهِ):**

مِمَّا يَتَّصِلُ بِبِدَايَاتِ حِفْظِهِ أَنَّهُ أُصِيبَ فِي صِغَرِهِ بِعَمًى فِي عَيْنَيْهِ، فَحَزِنَتْ أُمُّهُ حُزْنًا شَدِيدًا، وَكَانَتْ كَثِيرَةَ الدُّعَاءِ لَهُ، فَرَأَتْ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي المَنَامِ فَقَالَ لَهَا: "يَا هَذِهِ، قَدْ

رَدَّ اللهُ عَلَى ابْنِكِ بَصَرَهُ بِكَثْرَةِ دُعَائِكِ"، فَأَصْبَحَتْ وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ، فَانْطَلَقَ يَحْفَظُ القُرْآنَ وَالعِلْمَ بِقُوَّةٍ.

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٣٩٣]، وَ [مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٧٧].

بداية طلبه للعلم

نَشَأَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كَنَفِ أُمِّهِ يَتِيمًا، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَوَّضَهُ عَنْ فَقْدِ أَبِيهِ بِإِلْهَامِهِ حِفْظَ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَمْ يَبْلُغِ الحُلُمَ بَعْدُ.

* **كَيْفَ بَدَأَ الإِلْهَامُ**: يَرْوِي الإِمَامُ البُخَارِيُّ عَنْ نَفْسِهِ بَدْءَ أَمْرِهِ فَيَقُولُ: "أُلْهِمْتُ حِفْظَ الحَدِيثِ وَأَنَا فِي الكُتَّابِ". فَقِيلَ لَهُ: وَكَمْ كَانَ أَتَى عَلَيْكَ إِذْ ذَاكَ؟ فَقَالَ: "عَشْرُ سِنِينَ أَوْ أَقَلُّ".

* **حِفْظُ مُصَنَّفَاتِ الكِبَارِ**: لَمَّا خَرَجَ مِنَ الكُتَّابِ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، جَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَى الدَّاخِلِيِّ (وَهُوَ مِنْ كِبَارِ مُحَدِّثِي بُخَارَى) وَغَيْرِهِ. وَلَمَّا بَلَغَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، كَانَ قَدْ حَفِظَ كُتُبَ عَبْدِ اللهِ بْنِ المُبَارَكِ، وَوَكِيعِ بْنِ الجَرَّاحِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَعَرَفَ كَلَامَ أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَفِقْهَهُمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَلَكَتَهُ العِلْمِيَّةَ نَضِجَتْ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ جِدًّا.

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٣٩٣-٣٩٤]، وَ [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ٦].

مُعْجِزَتُهُ فِي الحِفْظِ وَهُوَ غُلَامٌ يَقْظَانُ

لَمْ يَكُنْ حِفْظُ البُخَارِيِّ حِفْظًا طَبِيعِيًّا، بَلْ كَانَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ البَاهِرَةِ، حَيْثُ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى الحِفْظِ الصَّدْرِيِّ دُونَ الحَاجَةِ إِلَى الكِتَابَةِ فِي بِدَايَةِ أَمْرِهِ.

قِصَّتُهُ مَعَ طَلَبَةِ البَصْرَةِ

يَرْوِي حَاشِدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (وَهُوَ رَفِيقُ رِحْلَتِهِ) قِصَّةً عَجِيبَةً تَدُلُّ عَلَى عَبْقَرِيَّتِهِ فَيَقُولُ: "كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ يَخْتَلِفُ مَعَنَا إِلَى مَشَايِخِ البَصْرَةِ وَهُوَ غُلَامٌ، فَلَا يَكْتُبُ، حَتَّى أَتَى عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٌ، فَكُنَّا نَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ تَخْتَلِفُ مَعَنَا وَلَا تَكْتُبُ، فَمَا تَصْنَعُ؟ فَلَمَّا أَكْثَرْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَقَالَ لَنَا: إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ وَأَلْحَحْتُمْ، فَاعْرِضُوا عَلَيَّ مَا كَتَبْتُمْ!"

* **سَرْدُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ**: قَالَ حَاشِدٌ: "فَأَخْرَجْنَا إِلَيْهِ مَا كَانَ عِنْدَنَا، فَزَادَ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ، فَقَرَأَهَا كُلَّهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، حَتَّى جَعَلْنَا نُصَحِّحُ كُتُبَنَا مِنْ حِفْظِهِ!" ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ البُخَارِيُّ وَقَالَ كَلِمَتَهُ التَّارِيخِيَّةَ: "أَتَرَوْنَ أَنِّي أَخْتَلِفُ هَدَرًا وَأُضَيِّعُ أَيَّامِي؟!" فَعَرَفَ أَهْلُ البَصْرَةِ أَنَّهُ لَا يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ.

المَرْجِع: [تَهْذِيبُ الكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ، لِلْمِزِّيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ٢٤، ص ٤٤٠]، وَ[طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى، لِلتَّاجِ السُّبْكِيِّ، دَارُ هَجْرٍ، ج ٢، ص ٢١٧].

تَصْحِيحُهُ لِمَشَايِخِهِ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً

مِنْ مَظَاهِرِ إِشْرَاقَتِهِ العِلْمِيَّةِ النَّادِرَةِ أَنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَلَى شُيُوخِهِ الكِبَارِ إِذَا أَخْطَأُوا فِي سَنَدِ الحَدِيثِ، وَيُقِيمُ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِأَدَبٍ عِلْمِيٍّ جَمٍّ، وَمِنْ ذَلِكَ مَوْقِفُهُ مَعَ شَيْخِهِ "الدَّاخِلِيِّ".

* **المَوْقِفُ مَعَ الدَّاخِلِيِّ**: قَالَ البُخَارِيُّ: "كَانَ الدَّاخِلِيُّ يُقْرِئُ يَوْمًا فَقَالَ فِيمَا كَانَ يَقْرَأُ لِلنَّاسِ: سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ لَمْ يَرْوِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ!"

تَنَبُّهُ الـ شَيْخِ وَرُجُوعُهُ لِلْحَقِّ: فَانْتَهَرَنِي شَيْخِي الدَّاخِلِيُّ وَزَجَرَنِي، فَقَالَ لَهُ البُخَارِيُّ بِثِقَةٍ: "ارْجِعْ إِلَى الأَصْلِ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ". فَدَخَلَ الشَّيْخُ بَيْتَهُ وَنَظَرَ فِي كُتُبِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: كَيْفَ هُوَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ البُخَارِيُّ: "هُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ".

فَأَخَذَ الشَّيْخُ القَلَمَ وَصَحَّحَ كِتَابَهُ مِنْ فَمِ البُخَارِيِّ وَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ.

قِيلَ لِلْبُخَارِيِّ: ابْنُ كَمْ كُنْتَ حِينَ رَدَدْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: "ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً".

المَرْجِع: [فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، لِابْنِ حَجَرٍ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٧٨]، وَ[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٣٩٤].

سِرُّ حِفْظِ البُخَارِي وَنَصِيحَتُهُ لِلطَّلَبَةِ

لَمْ يَكُنْ رَحِمَهُ اللهُ يَرَى الحِفْظَ مُجَرَّدَ مَوْهِبَةٍ سَاكِنَةٍ، بَلْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُغَذَّى بِالحِرْصِ الشَّدِيدِ وَالِاشْتِهَاءِ لِلْعِلْمِ.

* سُئِلَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ: هَلْ تَعْرِفُ دَوَاءً يُشْرَبُ لِلْحِفْظِ وَيَزِيدُ فِيهِ؟ فَأَجَابَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عُمْقِ تَجْرِبَتِهِ وَصِدْقِ نَهَمِهِ قَائِلًا: "لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْحِفْظِ مِنْ لَهَفِ المَرْءِ، وَمُدَاوَمَةِ النَّظَرِ" (وَاللَّهَفُ هُوَ شِدَّةُ النُّزُوعِ وَالتَّشَوُّقِ وَحُرْقَةِ الحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ).

* وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: "أَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ صَحِيحٍ، وَأَحْفَظُ مِائَتَيْ أَلْفِ حَدِيثٍ غَيْرِ صَحِيحٍ".

المَرْجِـع: [تَـارِيخُ بَغْـدَادَ، لِلْخَطِيـبِ البَغْـدَادِيِّ، ج ٢، ص ١٣]، وَ[طَبَقَـاتُ الحُفَّـاظِ، لِلْجَلَالِ السُّيُوطِيِّ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، ص ٢٧٤].

رحلة الإمام البخاري رحمه الله في طلب العلم

بَدَأَتْ رِحْلَةُ البُخَارِيِّ الخَارِجِيَّةُ بَعْدَ أَنْ اسْتَوْعَبَ عِلْمَ بَلَدِهِ بُخَارَى. وَكَانَتْ نُقْطَةُ الِانْطِلَاقِ سَنَةَ (٢١٠ هـ) حِينَمَا خَرَجَ لِلْحَجِّ مَعَ أُمِّهِ وَأَخِيهِ أَحْمَدَ، فَلَمَّا قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ، رَجَعَتْ أُمُّهُ وَأَخُوهُ إِلَى بُخَارَى، وَتَخَلَّفَ هُوَ فِي مَكَّةَ لِطَلَبِ الحَدِيثِ وَجَمْعِهِ.

يَقُولُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ عَنْ رِحْلَاتِهِ الوَاسِعَةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ عَشَرَاتِ السِّنِينَ: "دَخَلْتُ الشَّامَ، وَمِصْرَ، وَالجَزِيرَةَ مَرَّتَيْنِ، وَالبَصْرَةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَأَقَمْتُ بِالحِجَازِ سِتَّ سِنِينَ، وَلَا أُحْصِي كَمْ دَخَلْتُ بَغْدَادَ وَالكُوفَةَ مَعَ المُحَدِّثِينَ".

* **رحلته إلى بِلَادُ الحِجَازِ** (مَكَّةُ وَالمَدِينَةُ): أَقَامَ فِيهَا سِتَّ سِنِينَ، وَفِيهَا بَدَأَ التَّصْنِيفَ الفِعْلِيَّ لِكُتُبِهِ الكِبَارِ كَالتَّارِيخِ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

* **رحلته إلى بِلَادُ العِرَاقِ**: دَخَلَ بَغْدَادَ (عَاصِمَةَ العِلْمِ الخِلَافِيِّ آنَذَاكَ) ثَمَانِيَ مَرَّاتٍ، وَمَكَثَ فِي الكُوفَةِ وَالبَصْرَةِ أَوْقَاتًا طَوِيلَةً يَكْتُبُ عَنْ عُلَمَائِهَا.

* **رحلته إلى بِلَادُ الشَّامِ وَمِصْرُ**: رَحَلَ إِلَيْهِمَا وَلَقِيَ فِيهِمَا بَقَايَا أَصْحَابِ الأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.

* **رحلته إلى بِلَادُ جِبَالِ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ**: طَافَ بِمُدُنِهَا كَمِثْلِ: نَيْسَابُورَ، وَمَرْوَ، وَبَلْخَ، وَهَرَاةَ.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ لَا يَكْتُبُ الحَدِيثَ عَنْ أَيِّ رَاوٍ، بَلْ كَانَ يَشْتَرِطُ مَعْرِفَةَ اسْمِهِ، وَنَسَبِهِ، وَمَوْلِدِهِ، وَوَفَاتِهِ، وَطَرِيقَةِ أَخْذِهِ لِلْعِلْمِ.

المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ٦]، وَ[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٠٧].

أبرز مشايخ الإمام البخاري

كَتَبَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ عَنْ (١٠٨٠) نَفْسًا مِنَ العُلَمَاءِ وَالمُحَدِّثِينَ، وَكَانَ يَقُولُ: "لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا صَاحِبُ حَدِيثٍ، وَكُلُّهُمْ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ". وَقَدْ قَسَّمَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ شُيُوخَ البُخَارِيِّ إِلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ، وَمِنْ أَبْرَزِ شُيُوخِهِ فِي الأَمْصَارِ:

١. **عَلِيُّ بْنُ المَدِينِيِّ (إِمَامُ العِلَلِ)**: وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ شُيُوخِهِ، وَكَانَ البُخَارِيُّ يَهَابُهُ تَوْقِيرًا لِعِلْمِهِ، وَقَالَ عَنْهُ عِبَارَتَهُ الشَّهِيرَةَ: "مَا اسْتَصْغَرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ المَدِينِيِّ".

٢. **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ)**: جَالَسَهُ فِي بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْهُ، وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يُحِبُّهُ وَيَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الأَخْذِ عَنْهُ وَيَتَعَجَّبُ مِنْ حِفْظِهِ.

٣. **إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ (عَالِمُ خُرَاسَانَ)**: وَهُوَ الشَّيْخُ الذِي كَانَ سَبَبًا فِي فِكْرَةِ تَأْلِيفِ كِتَابِ "الصَّحِيحِ"، حِينَمَا قَالَ لِطُلَّابِهِ فِي المَجْلِسِ: "لَوْ جَمَعْتُمْ كِتَابًا مُخْتَصَرًا لِصَحِيحِ سُنَّةِ رَسُولِ

اللهِ ﷺ"، فَقَالَ البُخَارِيُّ: "فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِي فَأَخَذْتُ فِي جَمْعِ الجَامِعِ".

٤. **يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ (إِمَامُ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ)**: عَرَضَ عَلَيْهِ البُخَارِيُّ كِتَابَهُ الصَّحِيحَ بَعْدَ تَأْلِيفِهِ فَقَبِلَهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالصِّحَّةِ إِلَّا فِي أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ.

٥. **مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ البَلْخِيُّ**: وَهُوَ مِنْ أَعْلَى شُيُوخِهِ سَنَدًا (مِنْ طَبَقَةِ التَّابِعِينَ الصِّغَارِ)، وَعَنْ طَرِيقِهِ رَوَى البُخَارِيُّ مُعْظَمَ أَحَادِيثِهِ "الثُّلَاثِيَّاتِ" (العَالِيَةِ السَّنَدِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا ثَلَاثَةُ رُوَاةٍ فَقَطْ).

٦. **قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**: شَيْخُ بَغْلَانَ، الَّذِي كَانَ يَقُولُ عَنِ البُخَارِيِّ: "مَا رَأَيْتُ مُنْذُ عَقَلْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ".

المَرْجِع: [تَهْذِيبُ الكَمَالِ، لِلْمِزِّيِّ، ج ٢٤، ص ٤٣٥-٤٣٨]، وَ[فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٧٩-٤٨٠].

أبرز تلامذة الإمام البخاري

بَلَغَتْ شُهْرَةُ الإِمَامِ البُخَارِيِّ الآفَاقَ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَجَالِسِهِ الآلَافُ مِنَ الطَّلَبَةِ. حَتَّى رَوَى الفِرَبْرِيُّ (رَاوِي الصَّحِيحِ) أَنَّهُ سَمِعَ كِتَابَ الصَّحِيحِ مِنَ البُخَارِيِّ نَحْوُ تِسْعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ. وَمِنْ أَبْرَزِ وَأَشْهَرِ تَلَامِذَتِهِ الذِينَ صَارُوا أَئِمَّةً يُشَارُ إِلَيْهِمْ بِالبَنَانِ:

١. **الإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ النَّيْسَابُورِيُّ (صَاحِبُ الصَّحِيحِ)**: كَانَ يُجِلُّ البُخَارِيَّ إِجْلَالًا فَوْقَ الوَصْفِ، وَلَازَمَهُ لِمَعْرِفَةِ عِلَلِ الحَدِيثِ. وَهُوَ الذِي جَاءَ إِلَى البُخَارِيِّ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَقُولَتَهُ الخَالِدَةَ: "دَعْنِي حَتَّى أُقَبِّلَ رِجْلَيْكَ يَا أُسْتَاذَ الأُسْتَاذِينَ، وَسَيِّدَ المُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ".

٢. **الإِمَامُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ (صَاحِبُ السُّنَنِ)**: تَرَبَّى عِلْمِيًّا فِي مَدْرَسَةِ البُخَارِيِّ، وَعَنْهُ نَقَلَ مُعْظَمَ كَلَامِهِ فِي الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَالعِلَلِ فِي كِتَابِهِ "الجَامِعُ". وَكَانَ البُخَارِيُّ يَقُولُ لِلتِّرْمِذِيِّ: "مَا انْتَفَعْتَ أَنْتَ بِي أَكْثَرَ مِمَّا انْتَفَعْتُ أَنَا بِكَ" (مِنْ بَابِ التَّوَاضُعِ وَالتَّشْجِيعِ).

٣. **الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ (صَاحِبُ السُّنَنِ)**: أَخَذَ عَنْهُ وَتَفَقَّهَ عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي نَقْدِ الرِّجَالِ وَاسْتِنْبَاطِ الأَحْكَامِ.

٤. **أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ**: وَهُمَا مِنْ جَبَابِرَةِ النَّقْدِ فِي عَصْرِهِمَا، رَوَيَا عَنْهُ وَأَثْنَيَا عَلَى حِفْظِهِ الفَذِّ.

٥. **الإِمَامُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (إِمَامُ الأَئِمَّةِ، صَاحِبُ الصَّحِيحِ)**: سَمِعَ مِنْهُ وَنَقَلَ عَنْهُ وَتَأَثَّرَ بِشُرُوطِهِ فِي قَبُولِ الحَدِيثِ.

٦. **أَبُو عَبْدِ اللهِ المَحَامِلِيُّ**: القَاضِي المُحَدِّثُ الكَبِيرُ.

٧. **مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الفِرَبْرِيُّ**: وَهُوَ الرَّاوِي الأَشْهَرُ الذِي حَفِظَ لِلأُمَّةِ نُسْخَةَ "صَحِيحِ البُخَارِيِّ" وَتَنَقَّلَتْ عَبْرَ الأَجْيَالِ مِنْ طَرِيقِهِ.

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٣٩٥-٣٩٦]، وَ[تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ الفِكْرِ، ج ٩، ص ٤٩].

رؤى النبي صلى الله عليه وسلم

أَوَّلًا: الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا الإِمَامُ البُخَارِيُّ لِنَفْسِهِ:

هَـذِهِ الرُّؤْيَـا هِـيَ العِمَـادُ الـذِي بَنَـى عَلَيْـهِ البُخَـارِيُّ هِمَّتَـهُ لِتَصْـنِيفِ كِتَابِـهِ "الجَـامِعِ الصَّـحِيحِ"، وَقَـدْ نَقَلَهَـا العُلَمَـاءُ بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْهُ:

* **نَـصُّ الرُّؤْيَـا:** قَـالَ الإِمَـامُ البُخَـارِيُّ رَحِمَـهُ اللهُ: "رَأَيْـتُ النَّبِـيَّ ﷺ فِـي المَنَـامِ، وَكَـأَنَّنِي وَاقِـفٌ بَـيْنَ يَدَيْـهِ، وَبِيَـدِي مِرْوَحَـةٌ أَذُبُّ عَنْـهُ (أَيْ: أَطْرُدُ عَنْهُ الذُّبَابَ)".

* **تَعْبِيـرُ الرُّؤْيَـا:** قَـالَ البُخَـارِيُّ: "فَسَـأَلْتُ بَعْـضَ المُعَبِّـرِينَ (أَيْ: عُلَمَـاءِ تَفْسِـيرِ الأَحْـلَامِ)، فَقَـالَ لِـي: أَنْـتَ تَـذُبُّ عَنْـهُ الكَذِبَ".

* **أَثَرُهَـا:** قَـالَ العُلَمَـاءُ: فَهَـذَا الـذِي حَمَلَـهُ عَلَـى إِخْـرَاجِ "الجَـامِعِ الصَّـحِيحِ" وَتَنْقِيَتِـهِ مِـنَ الأَحَادِيـثِ الضَّـعِيفَةِ وَالمَوْضُوعَةِ.

المَرْجِع: [فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٨٩]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ١١]، وَ[تَارِيخُ دِمَشْقَ، لِابْنِ عَسَاكِرَ، دَارُ الفِكْرِ، ج ٥٣، ص ١٢٢].

ثانيًا: رُؤْيَا نَجْمِ بْنِ الفُضَيْلِ:

هَذِهِ الرُّؤْيَا تَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ تَأَسِّي الإِمَامِ البُخَارِيِّ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسَكَنَةٍ.

* **نَصُّ الرُّؤْيَا**: رَوَى الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي الفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَمْرٍو السَّلِيمَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ نَجْمَ بْنَ الفُضَيْلِ -وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ- يَقُولُ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي المَنَامِ يَمْشِي، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (البُخَارِيُّ) يَمْشِي خَلْفَهُ، فَكُلَّمَا رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَدَمَهُ، وَضَعَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَدَمَهُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ".

المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، ج ٢، ص ١١]، وَ[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٣٩].

ثالثًا: رُؤْيَا أَبِي زَيْدٍ المَرْوَزِي:

وَأَبُو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ هُوَ الإِمَامُ الفَقِيهُ الكَبِيرُ الذِي كَانَ يُدَرِّسُ المَذْهَبَ الشَّافِعِيَّ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ.

* نَـصُّ الرُّؤْيَـا: قَـالَ أَبُـو زَيْـدٍ المَـرْوَزِيُّ: "كُنْـتُ نَائِمًـا بَـيْنَ الـرُّكْنِ وَالمَقَـامِ (فِـي المَسْـجِدِ الحَـرَامِ)، فَرَأَيْـتُ النَّبِـيَّ ﷺ فِـي المَنَـامِ، فَقَـالَ لِـي: يَـا أَبَـا زَيْـدٍ، إِلَـى مَتَـى تَـدْرُسُ كِتَـابَ الشَّـافِعِيِّ وَلَا تَـدْرُسُ كِتَـابِي؟ فَقُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللهِ، وَمَـا كِتَابُـكَ؟ قَـالَ: جَـامِعُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ".

المَرْجِـع: [سِـيَرُ أَعْـلَامِ النُّـبَلَاءِ، لِلـذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٤٣٨]، وَ[طَبَقَـاتُ الشَّـافِعِيَّةِ الكُبْـرَى، لِتَـاجِ الـدِّينِ السُّـبْكِيِّ، دَارُ هَجْـرٍ، ج ٢، ص ٢١٥]، وَ[مُقَدِّمَـةُ فَـتْحُ البَـارِي، لِابْـنِ حَجَرٍ، ص ٤٨٩].

رَابِعًا: رُؤْيَا عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ آدَمَ الطَّوَاوِيسِي

انْتِظَارُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْبُخَارِيِّ عِنْدَ وَفَاتِهِ:

هَـذِهِ الرُّؤْيَـا جَـاءَتْ مُتَزَامِنَـةً مَـعَ السَّـاعَةِ الَّتِـي تُـوُفِّيَ فِيهَـا الإِمَـامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَرْيَةِ "خَرْتَنْك".

* نَـصُّ الرُّؤْيَـا: رَوَى المُؤَرِّخُـونَ بِأَسَـانِيدِهِمْ عَـنْ عَبْـدِ الوَاحِـدِ بْـنِ آدَمَ الطَّوَاوِيسِـيِّ قَـالَ: "رَأَيْـتُ النَّبِـيَّ ﷺ فِـي المَنَـامِ وَمَعَـهُ جَمَاعَـةٌ مِـنْ أَصْحَابِهِ، وَهُـوَ وَاقِـفٌ فِـي مَوْضِـعٍ، فَسَـلَّمْتُ عَلَيْـهِ، فَـرَدَّ

عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَا وُقُوفُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْتَظِرُ مُحَمَّدَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيَّ".

* **تَحَقُّقُهَا**: قَالَ عَبْدُ الوَاحِدِ: "فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ سَمِعْتُ بِوَفَاتِهِ، فَحَسِبْنَا ذَلِكَ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي رَأَيْتُ فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ".

المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، ج ٢، ص ٣٤]، وَ[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٤٦٧]، وَ[البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، لِابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ هَجْرٍ، ج ١٤، ص ٥٣٣].

تنبيه:

هَذِهِ الأَرْبَعُ رُؤَى هِيَ الَّتِي دَوَّنَهَا أَئِمَّةُ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَالتَّارِيخِ (كَالخَطِيبِ، وَالذَّهَبِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ، وَابْنِ حَجَرٍ) فِي تَرَاجِمِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ بِأَسَانِيدَ مَعْرُوفَةٍ، وَتَرَكْنَا غَيْرَهَا مِمَّا لَمْ يَثْبُتْ أَوْ فِيهِ جَهَالَةٌ.

نبوغه في العلم

بَعْـدَ أَنْ فَـرَغَ البُخَـارِيُّ مِـنْ حِفْـظِ القُـرْآنِ الكَـرِيمِ، أُلْهِـمَ حِفْـظَ الحَـدِيثِ النَّبَـوِيِّ، وَظَهَـرَتْ عَلَيْـهِ عَلَامَـاتُ الـذَّكَاءِ الخَـارِقِ الـذِي أَدْهَشَ شُيُوخَهُ وَأَقْرَانَهُ.

* **بِدَايَةُ طَلَبِ الحَدِيثِ:**

يَقُـولُ البُخَـارِيُّ عَـنْ نَفْسِـهِ: "أُلْهِمْـتُ حِفْـظَ الحَـدِيثِ وَأَنَـا فِـي الكُتَّابِ"، فَسُئِلَ: كَمْ كَانَ سِنُّكَ؟ فَقَالَ: "عَشْرُ سِنِينَ أَوْ أَقَلُّ".

* **حِفْظُ كُتُبِ الأَئِمَّةِ فِي الصِّغَرِ:**

لَمَّـا بَلَـغَ السَّادِسَـةَ عَشْـرَةَ مِـنْ عُمْـرِهِ، كَـانَ قَـدْ حَفِـظَ كُتُـبَ الإِمَـامِ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ المُبَـارَكِ، وَكُتُـبَ الإِمَـامِ وَكِيـعِ بْـنِ الجَـرَّاحِ بِأَسَـانِيدِهَا، وَعَرَفَ كَلَامَ أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَفِقْهَهُمْ.

* **بدأ بالتَّصْنِيفِ فِي سِنِّ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:**

لَـمْ يَقْتَصِـرْ نُبُوغُـهُ عَلَـى الحِفْـظِ، بَـلْ بَـدَأَ التَّصْـنِيفَ وَالتَّـأْلِيفَ النَّاقِـدَ وَهُـوَ ابْـنُ ثَمَـانِيَ عَشْـرَةَ سَـنَةً (١٨ سَـنَةً)، حَيْـثُ صَـنَّفَ كِتَابَـهُ العَظِـيمَ "التَّـارِيخُ الكَبِيـرُ" عِنْـدَ قَبْـرِ النَّبِـيِّ ﷺ، وَهُـوَ كِتَـابٌ عَجَـزَ كِبَارُ الشُّيُوخِ عَنْ نَقْدِهِ أَوْ عَمَلِ مِثْلِهِ.

المَرْجِـع: [تَـارِيخُ بَغْـدَادَ، لِلْخَطِيـبِ البَغْـدَادِيِّ، دَارُ الغَـرْبِ الإِسْـلَامِيِّ، ج ٢، ص ٩ - ١٣]، وَ [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٣٩٤ - ٤٠٠].

ثناء أهل العلم على الإمام البخاري رحمه الله تعالى

أَوَّلًا: ثَنَاءُ شُيُوخِهِ عليه:

كَانَ شُيُوخُ البُخَارِيِّ -وَهُمْ جِهَابِذَةُ الدُّنْيَا- يَرَوْنَ فِيهِ إِمَامَ العَصْرِ وَالمُسْتَقْبَلِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

١. الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ:

* رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: "مَا خَرَجَ مِنْ خُرَاسَانَ مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ".

٢. الإِمَامُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ (شَيْخُ خُرَاسَانَ):

* كَانَ إِسْحَاقُ يَقُولُ لِأَصْحَابِ الحَدِيثِ وَالبُخَارِيُّ مَعَهُمْ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، اكْتُبُوا عَنْ هَذَا الشَّابِّ (يَعْنِي البُخَارِيَّ)، فَلَوْ كَانَ فِي زَمَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ لَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِالحَدِيثِ وَفِقْهِهِ".

٣. الإِمَامُ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ:

* قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: "جَالَسْتُ الفُقَهَاءَ وَالزُّهَّادَ وَالعُبَّادَ، فَمَا رَأَيْتُ مُنْذُ عَقَلْتُ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ فِي زَمَانِهِ كَعُمَرَ فِي الصَّحَابَةِ". وَكَانَ يَقُولُ أَيْضًا: "إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يُحِبُّ البُخَارِيَّ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ".

٤. الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ المَدِينِيِّ (إِمَامُ العِلَلِ):

* لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ البُخَارِيِّ: "مَا اسْتَصْغَرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ المَدِينِيِّ"، قَالَ عَلِيٌّ: "دَعُوا قَوْلَهُ، مَا رَأَى مُحَمَّدُ بْنِ إِسْمَاعِيلَ مِثْلَ نَفْسِهِ قَطُّ".

٥. الإِمَامُ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الفَلَّاسُ:

* قَالَ: "حَدِيثٌ لَا يَعْرِفُهُ مُحَمَّدُ بْنِ إِسْمَاعِيلَ لَيْسَ بِحَدِيثٍ".

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤١٥ - ٤١٩]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ١٧ - ٢١].

ثانيا ثناء الأقران:

الأَقْرَانُ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِقِيمَةِ بَعْضِهِمْ، وَقَدْ خَضَعَ أَطِبَّاءُ الحَدِيثِ لِإِمَامَةِ البُخَارِيِّ:

١. الإِمَامُ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ:

* قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي مَعْرِفَةِ الحَدِيثِ وَحِفْظِهِ، وَقُدُومِهِ إِلَى العِرَاقِ، أَفْقَهَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ".

٢. الإِمَامُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ:

* قَالَ أَيْضًا: "خُرَاسَانُ لَمْ تُخْرِجْ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَا قَدِمَ إِلَى العِرَاقِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُ".

٣. الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ (بُنْدَارٌ - شَيْخُ البَصْرَةِ):

* قَالَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ البُخَارِيُّ: "قَدِمَ عَلَيْنَا اليَوْمَ سَيِّدُ الفُقَهَاءِ". وَكَانَ يَقُولُ: "حُفَّاظُ الدُّنْيَا أَرْبَعَةٌ: أَبُو زُرْعَةَ بِالرَّيِّ، وَمُسْلِمٌ بِنَيْسَابُورَ، وَعَبْدُ اللهِ الدَّارِمِيُّ بِسَمَرْقَنْدَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بِبُخَارَى، وَهُوَ أَعْلَمُهُمْ".

المَرْجِع: [الجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ، لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، ج ٧، ص ١٩١]، وَ[تَهْذِيبُ الكَمَالِ، لِلْمِزِّيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ٢٤، ص ٤٤٤].

ثالثا: ثناء التلاميذ:

١. الإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ:

* كَانَ يَقُولُ لِلْبُخَارِيِّ فِي مَجْلِسِهِ أَمَامَ النَّاسِ: "لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ". وَقَالَ لَهُ مَرَّةً تَعْظِيمًا لِعِلْمِهِ بِالعِلَلِ: "يَا أُسْتَاذَ الأُسْتَاذِينَ، وَسَيِّدَ المُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ".

٢. الإِمَامُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (إِمَامُ الأَئِمَّةِ):

* قَالَ كَلِمَتَهُ المَشْهُورَةَ: "مَا رَأَيْتُ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَعْلَمَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحْفَظَ لَهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ".

٣. الإِمَامُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ:

* قَالَ فِي كِتَابِهِ العِلَلِ: "لَمْ أَرَ أَحَدًا بِالعِرَاقِ وَلَا بِخُرَاسَانَ فِي مَعْرِفَةِ العِلَلِ، وَالتَّارِيخِ، وَمَعْرِفَةِ الأَسَانِيدِ، كَبِيرَ أَحَدٍ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ".

المَرْجِع: [الجامع الكَبِير (سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ) مَعَ كِتَابِ العِلَلِ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٦، ص ٢٣٤]، وَ[طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى، لِتَاجِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، دَارُ هَجْرٍ، ج ٢، ص ٢١٨].

ثناء الأئمة على كتابه الصحيح

شَهَادَةُ كِبارِ شُيُوخِهِ الَّذِينَ عُرِضَ عَلَيْهِمُ الكِتَابُ

لَمَّا فَرَغَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ مِنْ تَصْنِيفِ كِتَابِهِ وَتَنْقِيَتِهِ، لَمْ يَطْبَعْهُ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَهُ عَلَى أَقْطَابِ الحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ لِيَأْخُذَ شَهَادَتَهُمْ:

الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَعَلِيُّ بْنُ المَدِينِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ:

* رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ المَحْمُودِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو أَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ الخَفَّافَ يَقُولُ: صَنَّفَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ كِتَابَ "الصَّحِيحِ"، "ثُمَّ عَرَضَهُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَعَلِيِّ بْنِ المَدِينِيِّ، وَغَيْرِهِمْ؛ فَاسْتَحْسَنُوهُ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالصِّحَّةِ إِلَّا فِي أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ". قَالَ أَبُو عَمْرٍو: "وَالقَوْلُ فِيهَا قَوْلُ البُخَارِيِّ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ".

المَرْجِع: [مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٩٠]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ١٤].

أَقْوَالُ أَئِمَّةِ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ فِي قَدْرِ الكِتَابِ

١. الإِمَامُ أَبُو سَعِيدٍ الإِدْرِيسِيُّ:

* قَالَ فِي تَارِيخِهِ: "أَمَّا كِتَابُهُ "الجَامِعُ الصَّحِيحُ" فَإِنَّهُ الكِتَابُ الذِي لَمْ يُصَنَّفْ فِي الإِسْلَامِ مِثْلُهُ".

٢. الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّيْسَابُورِيُّ (شَيْخُ الحُفَّاظِ):

* قَالَ عَنْ صَحِيحِ البُخَارِيِّ: "مَا رَأَيْتُ مُنْذُ دَخَلْتُ هَذَا العِلْمَ كِتَابًا أَحْسَنَ تَرْتِيبًا، وَلَا أَكْثَرَ فَائِدَةً، وَلَا أَشَدَّ اسْتِنْبَاطًا لِلْفِقْهِ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ".

٣. الإِمَامُ النَّوَوِيُّ (صَاحِبُ شَرْحِ مُسْلِمٍ):

* قَالَ فِي مُقَدِّمَةِ شَرْحِهِ: "أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ عَلَى أَنَّ أَصَحَّ الكُتُبِ بَعْدَ القُرْآنِ العَزِيزِ الصَّحِيحَانِ: صَحِيحُ البُخَارِيِّ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، وَتَلَقَّتْهُمَا الأُمَّةُ بِالقَبُولِ، وَكِتَابُ البُخَارِيِّ أَصَحُّهُمَا، وَأَكْثَرُهُمَا فَوَائِدَ وَمَعَارِفَ ظَاهِرَةً وَخَفِيَّةً".

المَرْجِع: [شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِلنَّوَوِيِّ، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، ج ١، ص ١٤-١٥]، وَ [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٣٩].

شهادة أهل العلم على فقهه

شَهَادَةُ العُلَمَاءِ بِإِعْجَازِ فِقْهِهِ وَأَبْوَابِهِ (فِقْهُ البُخَارِيِّ فِي تَرَاجِمِهِ)

لَمْ يَكُنْ كِتَابُ البُخَارِيِّ مُجَرَّدَ جَمْعٍ لِلْأَحَادِيثِ، بَلْ بَهَرَتِ العُلَمَاءَ طَرِيقَتُهُ فِي اسْتِنْبَاطِ الفِقْهِ وَالعَقِيدَةِ مِنْ مَتْنِ الحَدِيثِ عَبْرَ عَنَاوِينِ الأَبْوَابِ (الَّتِي تُسَمَّى التَّرَاجِمَ).

١. الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ:

* قَالَ فِي تَارِيخِهِ: "وَأَمَّا كِتَابُهُ "الصَّحِيحُ" فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الخَلْقُ يَتَدَارَسُونَهُ، وَهُوَ أَصَحُّ كُتُبِ الحَدِيثِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَقَدْ أَبْدَى فِيهِ مِنْ الفِقْهِ وَالنُّكَتِ البَدِيعَةِ مَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ".

٢. المَقُولَةُ المَشْهُورَةُ بَيْنَ العُلَمَاءِ:

* أَطْلَقَ فُقَهَاءُ المُحَدِّثِينَ عِبَارَتَهُمْ الذَّهَبِيَّةَ بَعْدَ دِرَاسَةِ الكِتَابِ: "فِقْهُ البُخَارِيِّ فِي تَرَاجِمِهِ" (أَيْ أَنَّ عَبْقَرِيَّتَهُ الفِقْهِيَّةَ تَظْهَرُ فِي أَسْمَاءِ الأَبْوَابِ وَكَيْفَ يَسْتَدِلُّ لِلْبَابِ بِالحَدِيثِ المَذْكُورِ).

المَرْجِع: [البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، لِابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ هَجْرٍ، ج ١٤، ص ٥٢٨]، وَ [فَتْحُ البَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ، ج ١، ص ٨].

إِجْمَاعُ الأُمةِ عَلَى صِحتِهِ وَالتبرُّكِ بِقِرَاءَتِهِ

١. الإِمَامُ ابْنُ الصَّلَاحِ (صَاحِبُ مُقَدِّمَةِ عُلُومِ الحَدِيثِ):

* قَالَ كَلِمَتَهُ القَاطِعَةَ فِي حُجِّيَّةِ الكِتَابِ: "كِتَابُ البُخَارِيِّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي الصَّحِيحِ، وَكِتَابُهُ أَصَحُّ الكُتُبِ، وَجَمِيعُ مَا حَكَمَ البُخَارِيُّ بِصِحَّتِهِ فِي هَذَا الكِتَابِ فَهُوَ مَقْطُوعٌ بِصِحَّتِهِ، وَالأُمَّةُ مَعْصُومَةٌ عَنِ الخَطَأِ، فَمَا اتَّفَقَتْ عَلَى قَبُولِهِ وَتَصْدِيقِهِ فَلَا يَجُوزُ الخُرُوجُ عَنْهُ".

٢. الإِمَامُ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيُّ:

* قَالَ مُبَيِّنًا بَرَكَةَ الكِتَابِ الَّتِي جَرَّبَهَا العُلَمَاءُ عَبْرَ العُصُورِ: "كِتَابُ البُخَارِيِّ الصَّحِيحُ مَا قُرِئَ فِي شِدَّةٍ إِلَّا فُرِجَتْ، وَلَا رُكِبَ بِهِ فِي سَفِينَةٍ فِي البَحْرِ عِنْدَ هَيَجَانِهِ إِلَّا سَكَنَتْ، وَقَدْ تَلَقَّاهُ الأَئِمَّةُ بِالقَبُولِ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ".

المَرْجِع: [عُلُومُ الحَدِيثِ (مُقَدِّمَةُ ابْنِ الصَّلَاحِ)، دَارُ الفِكْرِ، ص ١٦-١٧]، وَ[تَغْلِيقُ التَّعْلِيقِ، لِابْنِ حَجَرٍ، المَكْتَبُ الإِسْلَامِيُّ، ج ٥، ص ٤٢١].

امتحان أهل بغداد لحفظه

مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَادَاتِ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي التَّارِيخِ لِلْبُخَارِيِّ، هِيَ قِصَّةُ قُدُومِهِ إِلَى بَغْدَادَ، حَيْثُ أَرَادَ عُلَمَاؤُهَا أَنْ يَمْتَحِنُوا حِفْظَهُ، فَاجْتَمَعُوا وَقَلَبُوا لَهُ مِائَةَ حَدِيثٍ؛ فَجَعَلُوا مَتْنَ هَذَا لِإِسْنَادِ ذَاكَ، وَإِسْنَادَ ذَاكَ لِمَتْنِ هَذَا، وَدَفَعُوهَا إِلَى عَشَرَةِ أَنْفُسٍ، لِكُلِّ رَجُلٍ عَشَرَةُ أَحَادِيثَ.

* **المَوْقِفُ**: جَلَسَ البُخَارِيُّ، فَقَامَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ وَسَأَلَهُ عَنْ أَحَادِيثِهِ المَقْلُوبَةِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَالبُخَارِيُّ يَقُولُ: "لَا أَعْرِفُهُ". حَتَّى أَكْمَلَ العَشَرَةُ مِائَةَ حَدِيثٍ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، فَالعَامَّةُ ظَنُّوا أَنَّ الرَّجُلَ عَاجِزٌ، وَأَمَّا العُلَمَاءُ فَالتَفَتَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا: "الرَّجُلُ فَهِمَ".

* **بَهَاءُ الحِفْظِ**: فَلَمَّا فَرَغُوا، التَفَتَ البُخَارِيُّ إِلَى الرَّجُلِ الأَوَّلِ فَقَالَ: "أَمَّا حَدِيثُكَ الأَوَّلُ فَقُلْتَ كَذَا، وَالصَّوَابُ كَذَا، وَحَدِيثُكَ الثَّانِي كَذَا وَالصَّوَابُ كَذَا..."، فَرَدَّ كُلَّ مَتْنٍ إِلَى إِسْنَادِهِ، وَكُلَّ إِسْنَادٍ إِلَى مَتْنِهِ، حَتَّى أَتَى عَلَى المِائَةِ حَدِيثٍ!

* شَهَادَةُ النَّاسِ: قَالَ ابْنُ حَجَرٍ عَنْ هَذِهِ القِصَّةِ: "فَقَرَّ لَهُ النَّاسُ بِالحِفْظِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالفَضْلِ"، وَعَجَبُ النَّاسِ لَمْ يَكُنْ مِنْ حِفْظِهِ لِلصَّوَابِ، بَلْ مِنْ حِفْظِهِ لِلْخَطَأِ عَلَى تَرْتِيبِهِ مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ!

المَرْجِع: [فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٨٦]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، ج ٢، ص ٢٠].

عبادته وزهده وورعه

أَوَلًا: عبادته وقيامه بالليل وشغفه بالقرآن

لَمْ يَكُنِ البُخَارِيُّ مُجَرَّدَ عَقْلِيَّةٍ حَافِظَةٍ، بَلْ كَانَ رَجُلَ عِبَادَةٍ وَتَبَتُّلٍ، يَمْزِجُ عِلْمَهُ بِعَمَلِ اللَّيْلِ.

* حَالُهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ:

يَرْوِي خَادِمُهُ وَرَاوِيَةُ كُتُبِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ الوَرَّاقُ (الذِي كَانَ يُلَازِمُهُ سَفَرًا وَحَضَرًا) عَنْ قِيَامِهِ فَيَقُولُ: "كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، يَجْمَعُنَا فِيهِ بَيْتٌ وَاحِدٌ إِلَّا فِي القَيْظِ (شِدَّةِ الحَرِّ)، فَكُنْتُ أَرَاهُ يَقُومُ فِي اللَّيْلَةِ الوَاحِدَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً إِلَى عِشْرِينَ مَرَّةً، فَيُورِي النَّارَ بِالزَّنْدِ (يُشْعِلُ السِّرَاجَ)، وَيُخْرِجُ أَحَادِيثَ، فَيُعَلِّمُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي".

* عِبَادَتُهُ فِي رَمَضَانَ:

كَانَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَيُصَلِّي بِهِمْ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ عِشْرِينَ آيَةً، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي السَّحَرِ مَا بَيْنَ النِّصْفِ إِلَى الثُّلُثِ مِنَ القُرْآنِ،

فَيَخْتِمُ عِنْدَ السَّحَرِ فِي كُلِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ خَتْمَةً. وَكَانَ يَخْتِمُ فِي النَّهَارِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَتْمَةً، وَيَقُولُ: "عِنْدَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ".

* خُشُوعُهُ المُذْهِلُ:

[قِصةُ الزُنْبُورِ]:

رَوَى أَبُو بَكْرٍ المَقْدِسِيُّ أَنَّ البُخَارِيَّ كَانَ يُصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لِمَنْ مَعَهُ: "انْظُرُوا هَلْ وَقَعَ تَحْتَ قَمِيصِي شَيْءٌ؟" فَنَظَرُوا فَإِذَا زُنْبُورٌ (دَبُّورٌ جَارِحٌ) قَدْ لَسَعَهُ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا، وَتَوَرَّمَ مِنْهُ جَسَدُهُ! فَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ لَمْ تَقْطَعِ الصَّلَاةَ مَعَ أَوَّلِ لَسْعَةٍ؟ فَقَالَ كَلِمَتَهُ التَّارِيخِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عُمْقِ اسْتِغْرَاقِهِ فِي كَلَامِ اللهِ: "كُنْتُ فِي سُورَةٍ (أَيْ فِي قِرَاءَتِهَا) فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُتِمَّهَا".

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٤٠-٤٤٢]، وَ[طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى، لِتَاجِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، ج ٢، ص ٢١٦].

ثانيًا: ورعه ونقواه ورقابته لله:

بَلَغَ البُخَارِيُّ غَايَةً نَادِرَةً فِي التَّوَرُّعِ عَنِ الدُّنْيَا وَحِفْظِ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ.

* وَرَعُهُ فِي التِّجَارَةِ وَالمَالِ:

وَرِثَ البُخَارِيُّ مَالًا كَثِيرًا مِنْ أَبِيهِ، فَكَانَ يُعْطِيهِ مُضَارَبَةً لِلتُّجَارِ. وَمِنْ قِصَصِ وَرَعِهِ أَنَّ بَعْضَ التُّجَارِ رَكِبُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ بَضَاعَةً، فَلَقُوهُ وَاسْتَامُوا مِنْهُ بِنَبْحِ (رِبْحِ) خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَاسْتَنْظَرَهُمْ لَيْلَتَهُ، فَجَاءَهُ تُّجَارٌ آخَرُونَ مِنَ الغَدِ فَطَلَبُوا البَضَاعَةَ بِرِبْحِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ! فَرَفَضَ البُخَارِيُّ أَنْ يَبِيعَهُمْ وَقَالَ: "إِنِّي نَوَيْتُ البَارِحَةَ أَنْ أَدْفَعَ إِلَى الأَوَّلِينَ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَنْقُضَ نِيَّتِي".

* عِفَّةُ لِسَانِهِ فِي الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ (خَوْفُ الغِيبَةِ):

رَغْمَ أَنَّهُ أَمِيرُ نُقَّادِ الحَدِيثِ، وَمِنْ شَرْطِ العِلْمِ بَيَانُ كَذِبِ الضُّعَفَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَطِيفَ العِبَارَةِ جِدًّا، شَدِيدَ الخَوْفِ مِنَ اللهِ أَنْ يَلْقَاهُ بِغِيبَةِ مُسْلِمٍ. كَانَ يَقُولُ: "أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَا يُحَاسِبُنِي أَنِّي اغْتَبْتُ أَحَدًا". وَلِذَلِكَ كَانَ إِذَا بَلَغَ الرَّاوِي عِنْدَهُ

الغَايَـةَ فِـي الضَّـعْفِ وَالكَـذِبِ لَا يَقُـولُ "كَـذَّابٌ" أَوْ "وَضَّـاعٌ" إِلَّا نَـادِرًا، بَـلْ يَقُـولُ عِبَـارَاتٍ تَقْطَـعُ حَالَـهُ بِـأَدَبٍ مِثْـلَ: "فِيـهِ نَظَـرٌ"، أَوْ "تَرَكُوهُ"، أَوْ "سَكَتُوا عَنْهُ".

* سَمَاحَتُهُ العَجِيبَةُ:

كَـانَ يَرْمِـي بِالسِّـهَامِ وَكَـانَ مَـاهِرًا لَا يُخْطِـئُ الهَـدَفَ كَثِيـرًا، فَأَصَـابَ سَـهْمُهُ يَوْمًـا خَشَـبَةَ قَنْطَـرَةٍ (جِسْرٍ) فَشَـقَّهَا، فَنَـزَلَ عَـنْ دَابَّتِـهِ وَقَـالَ لِخَادِمِـهِ: "اذْهَـبْ إِلَـى صَـاحِبِ القَنْطَـرَةِ فَقُلْ لَـهُ: إِنَّـا قَـدْ أَصَـبْنَا خَشَـبَتَكَ، فَأَعْلِمْنَـا مَـا قِيمَتُهَـا أَوْ اجْعَلْنَـا فِـي حِـلٍّ"، فَمَـا زَالَ بِـهِ حَتَّـى عَفَـا الصَّـاحِبُ عَنْهَـا، فَتَهَلَّـلَ وَجْـهُ البُخَـارِيِّ وَتَصَـدَّقَ فِـي ذَلِـكَ اليَوْمِ بِمَالٍ فَرَحًا بِالتَّخَلُّصِ مِنْ مَظْلِمَةِ الخَشَبَةِ!

المَرْجِـع: [تَـارِيخُ بَغْـدَادَ، لِلْخَطِيـبِ البَغْـدَادِيِّ، دَارُ الغَـرْبِ، ج ٢، ص ١٣]، وَ[مُقَدِّمَـةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٨١].

ثَالِثًا: معاملته لشيوخه وأساتذته

اتَّسَـمَتْ مُعَامَلَـةُ البُخَـارِيِّ لِشُـيُوخِهِ بِـأَعْلَى دَرَجَـاتِ الأَدَبِ، وَالتَّوْقِيرِ، وَمَعْرِفَةِ الحَقِّ لِأَهْلِهِ، رَغْمَ أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ.

* هَيْبَتُهُ لِشُيُوخِهِ:

كَانَ مَعَ سَعَةِ حِفْظِهِ الذِي يَبْهَرُ الأَئِمَّةَ، يَجْلِسُ جِلْسَةَ التِّلْمِيذِ المُتَأَدِّبِ. وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مَقُولَتُهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ المَدِينِيِّ: "مَا اسْتَصْغَرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ المَدِينِيِّ". وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِقِلَّةِ عِلْمِ البُخَارِيِّ، بَلْ لِفَرْطِ تَعْظِيمِهِ لِأُسْتَاذِهِ.

* بِرُّهُ بِالإِمَامِ أَحْمَدَ:

كَانَ يُجِلُّ الإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِجْلَالًا عَظِيمًا، وَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ تَرَكَ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ أَحْمَدَ، وَكَانَ يَقُولُ حِينَ فِرَاقِهِ لِبَغْدَادَ بَاكِيًا يَتَمَثَّلُ بِأَبْيَاتِ الشِّعْرِ تَعَلُّقًا بِأَحْمَدَ وَمَجَالِسِهِ. وَكَانَ يَذْكُرُ مِحْنَتَهُ فَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ وَيَنْشُرُ مَنَاقِبَهُ.

* تَوَاضُعُهُ مَعَ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ:

كَانَ قُتَيْبَةُ يَقُولُ لَهُ: "يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَذَا الحَدِيثُ فِي أَيِّ بَابٍ نَضَعُهُ؟" فَيُوجِهُهُ البُخَارِيُّ بِأَدَبِ الشَّابِّ مَعَ الشَّيْخِ، فَيَقُولُ قُتَيْبَةُ أَمَامَ النَّاسِ: "وَاللهِ لَقَدْ تَفَقَّهَ هَذَا الفَتَى قَبْلَ أَنْ يُولَدَ أَصْحَابُنَا".

المَرْجِع: [تَهْذِيبُ الكَمَالِ، لِلْمِزِّيِّ، ج ٢٤، ص ٤٤٦]، وَ[تَارِيخُ دِمَشْقَ، لِابْنِ عَسَاكِرَ، ج ٥٣، ص ٧٢].

رَابِعًا: معاملته لطلابه

كَانَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ بِمَثَابَةِ الأَبِ الرَّحِيمِ، وَالأُسْتَاذِ الكَرِيمِ مَعَ مَنْ يَطْلُبُ عِلْمَهُ، لَمْ يَمْنَعْهُ كِبْرُ مَقَامِهِ عَنِ التَّنَازُلِ لَهُمْ.

* كَرَمُهُ النَّفْسِيُّ وَالمَالِيُّ عَلَى طُلَّابِهِ:

كَانَ البُخَارِيُّ كَثِيرَ النَّفَقَةِ عَلَى أَهْلِ الحَدِيثِ وَطُلَّابِهِ. يَقُولُ خَادِمُهُ وَرَّاقُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَتَصَدَّقُ بِالكَثِيرِ، وَيَحْمِلُ إِلَى الفُقَرَاءِ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ السُّرَرَ (أَيْ أَكْيَاسَ النُّقُودِ) فِي السِّرِّ". وَكَانَ رُبَّمَا يَجُوعُ وَيُنْفِقُ عَلَى طُلَّابِهِ مِمَّا عِنْدَهُ.

* حِرْصُهُ عَلَى عَدَمِ إِحْرَاجِ التَّلَامِيذِ:

مَوْقِفُهُ مَعَ التِّرْمِذِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ يُفْسِحُ المَجَالَ لِطُلَّابِهِ كَيْ يَظْهَرَ عِلْمُهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ مُلَاطَفَتُهُ لِتِلْمِيذِهِ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ، فَقَدْ جَلَسَ مَعَهُ طَوِيلًا يُذَاكِرُهُ العِلَلَ، ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ لَهُ جَبْرًا لِخَاطِرِهِ وَتَنْشِيطًا لِهِمَّتِهِ: "مَا انْتَفَعْتَ أَنْتَ بِي أَكْثَرَ مِمَّا انْتَفَعْتُ أَنَا بِكَ"! وَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْ سُلْطَانِ العِلْمِ لِتِلْمِيذِهِ، تَجْعَلُ التِّلْمِيذَ يَطِيرُ فَرَحًا وَثِقَةً.

* تَوَاضُعُهُ مَعَ الوَرَّاقِ:

يَقُولُ وَرَّاقُهُ: "كُنَّا يَوْمًا نَبْنِي رِبَاطًا (مَكَانًا لِلْغُزَاةِ)، فَكَانَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ يَنْقُلُ اللَّبِنَ (الطُّوبَ) بِنَفْسِهِ مَعَنَا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، نَحْنُ نَكْفِيكَ، لَا تَحْمِلْ! فَقَالَ: إِنَّمَا يَنْفَعُ النَّاسَ مَا عَمِلُوهُ بِأَيْدِيهِمْ".

* صَبْرُهُ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا:

كَانَ لَا يَمَلُّ مِنْ مُرَاجَعَةِ الأَحَادِيثِ مَعَ الرُّوَاةِ وَالطَّلَبَةِ، حَتَّى صَارَ بَيْتُهُ قِبْلَةً لِأَهْلِ الدُّنْيَا البَاحِثِينَ عَنِ الأَسَانِيدِ العَالِيَةِ.

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، ج ١٢، ص ٤٤٨-٤٥٠]، وَ[فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، ص ٤٨٣].

جهاده في نشر العلم

جِهَادُهُ فِي نَشْرِ العِلْمِ وَطَرِيقَتُهُ فِي التَّعْلِيمِ

لَمْ يَكُنْ جِهَادُ الإِمَامِ البُخَارِيِّ مَقْصُورًا عَلَى جَمْعِ الحَدِيثِ وَتَصْنِيفِهِ، بَلْ كَانَ جِهَادُهُ الأَعْظَمُ فِي بَثِّهِ وَنَشْرِهِ بَيْنَ الأُمَّةِ، وَتَرْبِيَةِ الجِيلِ عَلَى السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي وَقْتٍ شَاعَتْ فِيهِ الأَهْوَاءُ وَالبِدَعُ.

* مَجَالِسُهُ المزدحمة:

كَانَ إِذَا دَخَلَ بَلَدًا، تَسَامَعَ النَّاسُ بِهِ، فَاضْطَرَبَتِ المَدَائِنُ لِقُدُومِهِ، وَتَزَاحَمَ العُلَمَاءُ وَالعَامَّةُ عَلَى مَجْلِسِهِ. يُقَالُ إِنَّهُ لَمَّا قَدِمَ نَيْسَابُورَ لِنَشْرِ العِلْمِ، اسْتَقْبَلَهُ عُلَمَاؤُهَا وَأَعْيَانُهَا عَلَى فَرَاسِخَ مِنَ المَدِينَةِ، وَشَهِدَ مَجْلِسَهُ الخَلَائِقُ حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمُ الرِّحَابُ.

* تَعْلِيمُ النَّاسِ الرِّوَايَةَ وَالدِّرَايَةَ:

كَانَ فِي مَجَالِسِهِ لَا يَسْرُدُ الأَحَادِيثَ فَقَطْ، بَلْ كَانَ يَنْشُرُ فِقْهَ الحَدِيثِ وَعِلَلَهُ، وَيُعَلِّمُ الطَّلَبَةَ كَيْفَ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الصَّحِيحِ

وَالسَّقِيمِ، مِمَّا جَعَلَ مَجَالِسَهُ مَدَارِسَ خَرَّجَتْ جَهَابِذَةَ الدُّنْيَا (كَمُسْلِمٍ، وَالتِّرْمِذِيِّ).

* نَشْرُ العِلْمِ عَبْرَ الكِتَابَةِ:

أَعْظَمُ جِهَادٍ نَشَرَ بِهِ العِلْمَ هُوَ كِتَابُهُ "الجَامِعُ الصَّحِيحُ"، الذِي قَامَ بِقِرَاءَتِهِ وَتَدْرِيسِهِ لِعَشَرَاتِ الآلَافِ فِي طُولِ الأَرْضِ وَعَرْضِهَا، حَتَّى صَارَ أَوَّلَ كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ يُجْمِعُ المُسْلِمُونَ عَلَى قَبُولِهِ.

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٤٣٠ - ٤٣٥]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، ج ٢، ص ٢٢].

معاناته وابتلائه في نشر العلم

لَمْ تَكُنْ طَرِيقُ البُخَارِيِّ مَفْرُوشَةً بِالوُرُودِ، بَلْ لَاقَى رَحِمَهُ اللهُ غُصَصًا وَمِحَنًا شَدِيدَةً مِنَ الحُسَّادِ، وَمِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ، حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ. وَتَتَمَثَّلُ مُعَانَاتُهُ فِي المَحَاطِّ الآتِيَةِ:

١. مِحْنَتُهُ فِي نَيْسَابُورَ [حَسَدُ الأَقْرَانِ]

لَمَّا رَأَى بَعْضُ عُلَمَاءِ نَيْسَابُورَ -وَعَلَى رَأْسِهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ- إِقْبَالَ النَّاسِ العَظِيمَ عَلَى مَجْلِسِ البُخَارِيِّ وَانْصِرَافَهُمْ عَنْ غَيْرِهِ، دَخَلَ الحَسَدُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ، فَأَثَارُوا عَلَيْهِ مَسْأَلَةَ "لَفْظِ القُرْآنِ"، وَشَغَّبُوا عَلَيْهِ.

* أَثَرُ المِحْنَةِ:

أَمَرَ الذُّهْلِيُّ النَّاسَ أَنْ لَا يُجَالِسُوا البُخَارِيَّ، فَانْقَطَعَ عَنْهُ النَّاسُ خَوْفًا إِلَّا الإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ وَأَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ. فَمَا كَانَ مِنَ البُخَارِيِّ إِلَّا أَنْ آثَرَ السَّلَامَةَ وَأَنْ لَا يَكُونَ سَبَبًا فِي فِتْنَةٍ، فَخَرَجَ مِنْ نَيْسَابُورَ مَظْلُومًا مَحْزُونًا.

المَرْجِع: [طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى، لِتَاجِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، دَارُ هَجْرٍ، ج ٢، ص ٢٢٧ - ٢٣٠].

٢. مِحْنَتُهُ فِي بُخَارَى مَعَ الأَمِيرِ

بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ، عَادَ إِلَى بَلَدِهِ بُخَارَى، فَأَرَادَ أَمِيرُهَا خَالِدُ بْنُ أَحْمَدَ الذُّهْلِيُّ (وَالِي طَاهِرِيٌّ) أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِالعِلْمِ لِنَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى البُخَارِيِّ يَقُولُ لَهُ: "احْمِلْ إِلَيَّ كِتَابَ (الجامع الصَّحِيح) وَ(التَّارِيخ) لِأَسْمَعَهَا أَنَا وَأَوْلَادِي".

* عِزَّةُ العِلْمِ:

رَفَضَ البُخَارِيُّ رَفْضًا قَاطِعًا أَنْ يُذِلَّ العِلْمَ عَلَى أَعْتَابِ السَّلَاطِينِ، وَقَالَ لِرَسُولِ الوَالِي كَلِمَتَهُ المَشْهُورَةَ: "أَنَا لَا أُذِلُّ العِلْمَ، وَلَا أَحْمِلُهُ إِلَى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ حَاجَةٌ، فَاحْضُرْ فِي مَسْجِدِي أَوْ فِي دَارِي".

* انْتِقَامُ الوَالِي:

فَغَضِبَ الوَالِي لِكِبْرِيَائِهِ، وَاسْتَعَانَ بِبَعْضِ الفُقَهَاءِ النَّافِسِينَ عَلَى البُخَارِيِّ، فَأَفْتَوْا بِتَبْدِيعِهِ، ثُمَّ قَامَ الوَالِي بِنَفْيِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ وَطَرْدِهِ مِنْ بَلَدِهِ بُخَارَى.

٣. النفْيُ الأَخِيرُ وَمَوْتُهُ كَمَدًا

خَرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ مِنْ بُخَارَى طَرِيدًا مَظْلُومًا، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ جَاوَزَ السِّتِّينَ سَنَةً، وَقَدْ أَنْهَكَتْهُ الرِّحْلَاتُ وَالعِلَلُ.

* فَتَوَجَّهَ نَحْوَ سَمَرْقَنْدَ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى بَعْدِ فَرَاسِخَ مِنْهَا فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ تُدْعَى (خَرْتَنْكُ)، نَزَلَ عِنْدَ أَقْرِبَاءَ لَهُ.

* **يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَعْقِلٍ**: سَمِعْتُ البُخَارِيَّ يَقُولُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا لِمَا لَاقَاهُ مِنْ طَرْدٍ وَتَشْرِيدٍ بِسَبَبِ نَشْرِ السُّنَّةِ: "اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ".

* فَمَا مَضَى شَهْرٌ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ القَرْيَةِ النَّائِيَةِ كَمَدًا وَمَظْلُومًا، لَيْلَةَ عِيدِ الفِطْرِ سَنَةَ (٢٥٦ هـ).

المَرْجِع: [البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، لِابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ هَجْرٍ، ج ١٤، ص ٥٣١ - ٥٣٣]، وَ[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، ج ١٢، ص ٤٦٤ - ٤٦٦].

خُلَاصَةُ المَطَافِ:

لَقَدْ كَانَ نَشْرُ العِلْمِ عِنْدَ البُخَارِيِّ جِهَادًا دَفَعَ ثَمَنَهُ مِنْ رَاحَتِهِ، وَمَالِهِ، وَوَطَنِهِ، حَتَّى مَاتَ غَرِيبًا طَرِيدًا، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ

لِعِلْمِهِ البَقَاءَ، وَمَاتَ ظَالِمُوهُ وَحُسَّادُهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ ذِكْرٌ، وَبَقِيَ البُخَارِيُّ نَجْمًا سَاطِعًا فِي سَمَاءِ الإِسْلَامِ.

أعظم المواقف التي حصلت للإمام البخاري رحمه الله

حَفِلَتْ حَيَاةُ الإِمَامِ البُخَارِيِّ بِمَوَاقِفَ تَارِيخِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَى عَبْقَرِيَّتِهِ الفَذَّةِ، وَعِزَّتِهِ بِالعِلْمِ، وَأَمَانَتِهِ العِلْمِيَّةِ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا:

١. مَوْقِفُ طَرْحِ مَالِهِ فِي البَحْرِ:

رَوَى الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ أَنَّ البُخَارِيَّ كَانَ رَاكِبًا فِي سَفِينَةٍ فِي البَحْرِ، وَكَانَ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا أَلْفُ دِينَارٍ (وَهُوَ مَالٌ عَظِيمٌ جِدًّا حِينَهَا)، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ المَسَاكِينِ المُسَافِرِينَ، وَتَقَرَّبَ إِلَى البُخَارِيِّ وَأَظْهَرَ لَهُ المَوَدَّةَ، فَأَخْبَرَهُ البُخَارِيُّ بِأَمْرِ المَالِ وَعَدَدِهِ (عَلَى سَبِيلِ الاسْتِرْسَالِ).

* **المَوْقِفُ**: فَلَمَّا أَصْبَحُوا، قَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَصِيحُ وَيَبْكِي، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ وَيُمَزِّقُ ثِيَابَهُ! فَسَأَلَهُ النَّاسُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: "ذَهَبَتْ لِي صُرَّةٌ فِيهَا أَلْفُ دِينَارٍ!". فَبَدَأَ رُكَّابُ السَّفِينَةِ يُفَتِّشُونَ النَّاسَ وَاحِدًا وَاحِدًا.

* **حِيلَةُ البُخَارِيِّ**: لَمَّا رَأَى البُخَارِيُّ ذَلِكَ، أَخْرَجَ صُرَّتَهُ فِي خُفْيَةٍ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ، وَأَلْقَاهَا فِي البَحْرِ! فَلَمَّا جَاءَ التَّفْتِيشُ

إِلَيْهِ لَمْ يَجِدُوا مَعَهُ شَيْئًا، وَانْتَهَى الأَمْرُ دُونَ العُثُورِ عَلَى المَالِ، وَظَهَرَ كَذِبُ الرَّجُلِ.

* **عِلَّةُ المَوْقِفِ**: بَعْدَ أَنْ نَزَلُوا مِنَ السَّفِينَةِ، جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى البُخَارِيِّ وَقَالَ لَهُ مَذْهُولًا: أَيْنَ الصُّرَّةُ؟ فَقَالَ لَهُ: أَلْقَيْتُهَا فِي البَحْرِ. فَقَالَ: كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى ضَيَاعِ هَذَا المَالِ العَظِيمِ؟! فَقَالَ لَهُ البُخَارِيُّ كَلِمَةً تُكْتَبُ بِالذَّهَبِ: "يَا جَاهِلُ، أَتَدْرِي أَنِّي شَخَصْتُ نَفْسِي (أَيْ نَذَرْتُ حَيَاتِي) لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَرَفَتْنِي الدُّنْيَا بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ؟ فَكَيْفَ كُنْتُ أَجْعَلُ نَفْسِي عُرْضَةً لِتُهْمَةِ السَّرِقَةِ؟ وَكَيْفَ أُضِيعُ جَوْهَرَةً (وَهِيَ ثِقَتِي وَأَمَانَتِي فِي الحَدِيثِ) بِأَلْفِ دِينَارٍ؟!".

المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ، ج ٢، ص ٣٣]، وَ[سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٤٦].

٢. مَوْقِفُهُ وَهُوَ صَبِيٌّ مَعَ شَيْخِهِ الدَّاخِلِي:

كَانَ البُخَارِيُّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ شَيْخِهِ الدَّاخِلِيِّ (مُحَدِّثُ بُخَارَى) وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً.

* **المَوْقِفُ**: فَقَالَ الشَّيْخُ يَوْمًا فِي سَنَدِ حَدِيثٍ: "سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ"، فَقَالَ لَهُ البُخَارِيُّ الصَّبِيُّ بِأَدَبٍ: "يَا أَبَا الزُّبَيْرِ، إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ لَمْ يَرْوِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ"! فَانْتَهَرَهُ الشَّيْخُ. فَقَالَ البُخَارِيُّ: "ارْجِعْ إِلَى الأَصْلِ (أَيْ الكِتَابِ)". فَدَخَلَ الشَّيْخُ وَنَظَرَ فِي كِتَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلْبُخَارِيِّ: كَيْفَ هُوَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: "هُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ". فَأَخَذَ الشَّيْخُ القَلَمَ وَأَصْلَحَ كِتَابَهُ وَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ.

المَرْجِع: [مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٧٨].

أماكن إقامته لنشر العلم

طَافَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ البلاد لِنَشْرِ العِلْمِ فِي أَمْصَارِ الإِسْلَامِ، وَكَانَتْ لَهُ مَحَطَّاتٌ اسْتِقْرَارِيَّةٌ كُبْرَى دَرَّسَ فِيهَا منها:

١. بِلَادُ الحِجَازِ (مَكَّةُ وَالمَدِينَةُ):

* أَقَامَ فِيهَا سِتَّ سِنِينَ فِي بِدَايَاتِهِ، وَنَشَرَ فِيهَا العِلْمَ فِي حِلَقِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَفِيهَا صَنَّفَ كِتَابَهُ التَّارِيخَ الكَبِيرَ.

٢. بَغْدَادُ (عَاصِمَةُ الخِلَافَةِ):

* دَخَلَهَا ثَمَانِيَ مَرَّاتٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَجْلِسُ فِيهَا لِنَشْرِ العِلْمِ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ بَغْدَادَ، وَيُذَاكِرُونَهُ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ.

٣. البَصْرَةُ وَالكُوفَةُ وَالشَّامُ وَمِصْرُ:

* تَنَقَّلَ بَيْنَ هَذِهِ الحَوَاضِرِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ مَدِينَةً إِلَّا وَيَعْقِدُ فِيهَا مَجْلِسًا لِلتَّحْدِيثِ، وَيَتَهَافَتُ عَلَيْهِ طُلَّابُ السُّنَّةِ.

٤. نَيْسَابُورُ (مَحَطَّةُ النَّشْرِ الكُبْرَى):

* اسْتَقَرَّ فِيهَا مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ مَحَاطِّهِ فِيهَا بَثَّ عِلْمَهُ، حَيْثُ لَازَمَهُ فِيهَا الإِمَامُ مُسْلِمٌ، وَكَانَ لَهُ فِيهَا خَانٌ (مَدْرَسَةٌ) يُدَرِّسُ فِيهِ يَوْمِيًّا.

٥. بُخَارَى (مَوْطِنُهُ الأَصْلِيُّ):

* عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ رِحْلَاتِهِ الطَّوِيلَةِ، فَنَصَبَ لَهُ النَّاسُ الخِيَامَ عَلَى بَعْدِ فَرَاسِخَ فَرَحًا بِقُدُومِهِ، وَاسْتَقَرَّ فِيهَا يُدَرِّسُ فِي مَسْجِدِهَا الجَامِعِ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ النَّاسُ كُتُبَهُ بِالآلَافِ.

المَرْجِع: [فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٨٥]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، ج ٢، ص ٢٥].

مذهب الإمام البخاري

حَقِيقَةُ مَذْهَبِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ الفِقْهِيِّ

حَاوَلَ بَعْضُ أَصْحَابِ المَذَاهِبِ نِسْبَةَ الإِمَامِ البُخَارِيِّ إِلَيْهِمْ؛ فَذَكَرَهُ الحَنَابِلَةُ فِي طَبَقَاتِهِمْ لِأَنَّهُ جَالَسَ الإِمَامَ أَحْمَدَ وَوَافَقَهُ فِي العَقِيدَةِ، وَذَكَرَهُ الشَّافِعِيَّةُ فِي طَبَقَاتِهِمْ لِأَنَّهُ أَخَذَ عَنْ أَبُو ثَوْرٍ وَالحُمَيْدِيِّ وَهُمَا مِنْ تَلَامِذَةِ الشَّافِعِيِّ.

* **الحَقِيقَةُ**: أَنَّ الإِمَامَ البُخَارِيَّ كَانَ مُجْتَهِدًا مُطْلَقًا، وَلَمْ يَكُنْ مُقَلِّدًا لِأَحَدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ. كَانَ مَذْهَبُهُ هُوَ مَذْهَبَ "أَهْلِ الحَدِيثِ" الَّذِينَ يَدُورُونَ مَعَ السُّنَّةِ حَيْثُ دَارَتْ، فَإِذَا صَحَّ الحَدِيثُ عِنْدَهُ أَخَذَ بِهِ، سَوَاءٌ وَافَقَ الشَّافِعِيَّ، أَمْ أَبَا حَنِيفَةَ، أَمْ مَالِكًا، أَمْ أَحْمَدَ، أَمْ خَالَفَهُمْ.

* **قَالَ التَّاجُ السُّبْكِيُّ الشَّافِعِيُّ**: "أَمَّا أَبُو عَبْدِ اللهِ البُخَارِيُّ فَقَدْ كَانَ إِمَامًا مُجْتَهِدًا مُسْتَقِلًّا، لَا يَتَقَيَّدُ بِمَذْهَبِ أَحَدٍ".

المَرْجِع: [طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى، لِتَاجِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، دَارُ هَجْرٍ، ج ٢، ص ٢١٤].

مَوْقِفُهُ مِنَ التَّعَصُّبِ المَذْهَبِيِّ وتَجَرُّدُهُ لِلْحَدِيثِ:

تَجَلَّى تَجَرُّدُ الإِمَامِ البُخَارِيِّ عَنِ التَّعَصُّبِ فِي مَظَاهِرَ عِلْمِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ بَاهِرَةٍ، مِنْهَا:

١. رَدُّهُ عَلَى أَهْلِ الرَّأْيِ بِالأَدِلَّةِ دُونَ تَجْرِيحٍ شَخْصِيٍّ

كَانَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ يَرَى أَنَّ التَّعَصُّبَ لِلآرَاءِ الرِّجَالِيَّةِ المُقَدَّمَةِ عَلَى النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ هُوَ مَزْلَقٌ خَطِيرٌ. لِذَلِكَ كَانَ يَكْتُبُ فِي صَحِيحِهِ أَبْوَابًا يَرُدُّ فِيهَا عَلَى مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ الصَّحِيحَةَ تَقْلِيدًا لِمَذْهَبِهِ، فَيَقُولُ بِلُطْفٍ وَأَدَبٍ عِلْمِيٍّ: "بَابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ القِيَاسِ"، أَوْ يَقُولُ: "قَالَ بَعْضُ النَّاسِ..." ثُمَّ يَسُوقُ الحَدِيثَ الذِي يَنْقُضُ قَوْلَهُمْ، تَرْفِيعًا لِمَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَقْوَالِ البَشَرِ.

٢. فِقْهُهُ المَبْثُوثُ فِي تَرَاجِمِهِ الدَّالُّ عَلَى اسْتِقْلَالِهِ

مَنْ طَالَعَ كِتَابَ "الصَّحِيحِ" وَجَدَ أَنَّ البُخَارِيَّ قَدْ يَنْفَرِدُ بِآرَاءٍ فِقْهِيَّةٍ لَا تَتَّبِعُ مَذْهَبًا مُعَيَّنًا؛ فَمَثَلًا فِي مَسْأَلَةِ "إِجْزَاءِ القِرَاءَةِ خَلْفَ الإِمَامِ" أَوْ "مَسْأَلَةِ رَفْعِ اليَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ"، كَانَ يَصْلِفُ

فِـي نَصْـرِ الحَـدِيثِ النَّبَـوِيِّ المَرْفُـوعِ، حَتَّـى لَـوْ أَدَّى ذَلِـكَ إِلَـى مُخَالَفَةِ فُقَهَاءِ بَلَدِهِ الكِبَارِ.

٣. عَدَالَتُهُ مَعَ الرُّوَاةِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ

مِـنْ أَعْظَـمِ أَدِلَّـةِ تَجَـرُّدِهِ عَـنِ التَّعَصُّـبِ هُـوَ مَنْهَجُـهُ فِـي قَبُـولِ الأَحَادِيـثِ؛ فَلَـمْ يَكُـنْ يَمْنَعُـهُ اخْـتِلَافُ مَـذْهَبِ الـرَّاوِي الفِقْهِـيِّ أَوِ العَقَـدِيِّ (إِذَا لَـمْ يَكُـنْ غَالِيًـا أَوْ دَاعِيَـةً لِبِدْعَـةٍ) مِـنْ أَنْ يَخْـرُجَ لَـهُ فِـي "الصَّـحِيحِ" إِذَا ثَبَـتَ صِـدْقُهُ وَحِفْظُـهُ المِثَـالِيُّ. فَخَـرَّجَ لِرِجَـالٍ عُرِفُـوا بِتَشَـيُّعٍ يَسِيرٍ، أَوْ إِرْجَـاءٍ، طَالَمَـا تَيَقَّنَ مِـنْ عَـدَالَتِهِمْ فِـي رِوَايَـةِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ تَعَصُّبِهِ الضَّيِّقِ.

المَرْجِـع: [مُقَدِّمَـةُ فَـتْحِ البَـارِي (هَـدْيُ السَّـارِي)، لِابْـنِ حَجَـرٍ، ص ٤٣٤-٤٣٧ فِـي ذِكْـرِ مَـنْ طُعِـنَ فِيـهِ مِـنَ الـرُّوَاةِ خَلَفًـا وَصِـدْقِهِمْ عِلْمِيًّـا]، وَ[أَعْـلَامُ المُـوَقِّعِينَ، لِابْـنِ القَـيِّمِ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، ج ١، ص ٥٤].

خُلَاصَةُ مَوْقِفِهِ

كَـانَ مَوْقِـفُ البُخَـارِيِّ مِـنَ المَـذَاهِبِ هُـوَ الاحْتِـرَامُ لِلْأَئِمَّـةِ، مَـعَ تَقْـدِيمِ الحَـدِيثِ عَلَـى أَقْـوَالِهِمْ. وَقَـدْ كَـانَ يَتَمَثَّـلُ عَمَلِيًّـا بِمَـا صَـحَّ

عَـنِ الأَئِمَّـةِ الأَرْبَعَـةِ أَنْفُسِـهِمْ حِـينَ قَـالُوا: "إِذَا صَـحَّ الحَـدِيثُ فَهُـوَ مَذْهَبِي".

وَلِـذَلِكَ جَـاءَ كِتَابُـهُ جَامِعًـا لِلْأُمَّـةِ، يَقْبَلُـهُ الحَنَفِـيُّ وَالمَـالِكِيُّ وَالشَّـافِعِيُّ وَالحَنْبَلِـيُّ، لِأَنَّهُـمْ رَأَوْا فِيـهِ التَّجَـرُّدَ الخَـالِصَ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ.

المَرْجِـع: [فَـتْحُ المُغِيـثِ بِشَـرْحِ أَلْفِيَّـةِ الحَـدِيثِ، لِلْسَّـخَاوِيِّ، مَكْتَبَـةُ السُّـنَّةِ، ج ١، ص ٤٥].

مصنفاته

أَبْرَزِ مُصَنَّفَاتِهِ، وَقِصَّةِ كُلِّ كِتَابٍ، وَالمُدَّةِ الَّتِي اسْتَغْرَقَهَا، مَعَ الضَّبْطِ وَالتَّوْثِيقِ الدَّقِيقِ:

١. الجَامِعُ المُسْنَدُ الصَحِيحُ [صَحِيحُ البُخَارِي]

هُوَ أَعْظَمُ كُتُبِهِ وَأَشْهَرُهَا عَلَى الإِطْلَاقِ، وَأَصَحُّ كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى.

* قِصَّةُ تَصْنِيفِهِ:

نَشَأَتِ الفِكْرَةُ مِنْ مَوْقِفَيْنِ؛ الأَوَّلُ: مَجْلِسُ شَيْخِهِ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ حِينَ قَالَ لِطُلَّابِهِ: "لَوْ جَمَعْتُمْ كِتَابًا مُخْتَصَرًا لِصَحِيحِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ"، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ البُخَارِيِّ. وَالثَّانِي: رُؤْيَاهُ المَنَامِيَّةُ التِّي مَرَّتْ مَعَنَا وَهُوَ يَذُبُّ الذُّبَابَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَفْسِيرُهَا أَنَّهُ يَذُبُّ الكَذِبَ عَنْ سُنَّتِهِ.

* مُدَّةُ التَّصْنِيفِ:

اسْتَغْرَقَ فِي جَمْعِهِ، وَتَنْقِيَتِهِ، وَتَرْتِيبِهِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً (١٦ سَنَةً) مِنَ الرِّحْلَاتِ وَالعَمَلِ المُتَوَاصِلِ.

* حَالُهُ فِي تَصْنِيفِهِ:

كَانَ حَالُهُ فِيهِ حَالَ المُتَبَتِّلِ العَابِدِ. يَقُولُ البُخَارِيُّ: "مَا وَضَعْتُ فِي كِتَابِي "الصَّحِيحِ" حَدِيثًا إِلَّا اغْتَسَلْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ". وَفِي رِوَايَةٍ: "مَا أَدْخَلْتُ فِيهِ حَدِيثًا إِلَّا اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَتَيَقَّنْتُ صِحَّتَهُ". وَقَدْ جَعَلَ تَبْوِيبَ كِتَابِهِ وَتَرْجَمَةَ أَبْوَابِهِ بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْبَرِهِ فِي الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ بَعْضَهُ فِي مَكَّةَ، وَبَعْضَهُ فِي البَصْرَةَ، وَبَعْضَهُ فِي بَغْدَادَ، وَكَانَ يُرَاجِعُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَعْرِضُهُ عَلَى أَكَابِرِ شُيُوخِهِ كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَعَلِيِّ بْنِ المَدِينِيِّ.

* عَدَدُ أَحَادِيثِهِ:

صَنَّفَهُ وَانْتَقَاهُ مِنْ بَيْنِ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ (٦٠٠,٠٠٠) كَانَ يَحْفَظُهَا، وَيَبْلُغُ عَدَدُ أَحَادِيثِهِ بِالتَّكْرَارِ نَحْوَ (٧٣٩٧) حَدِيثًا، وَبِغَيْرِ التَّكْرَارِ نَحْوَ (٢٦٠٢) حَدِيثٍ.

المَرْجِع: [فَتْحُ البَارِي بِمُقَدِّمَتِهِ هَدْيُ السَّارِي، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٨٩]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ١٤].

٢. التَّارِيخُ الكَبِيرُ

هُوَ الكِتَابُ المَرْجِعُ فِي عِلْمِ رِجَالِ الحَدِيثِ وَالجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَمَعْرِفَةِ مَوَالِيدِ الرُّوَاةِ وَوَفَيَاتِهِمْ.

* قِصَّةُ تَصْنِيفِهِ وَمُدَّتُهُ:

صَنَّفَهُ البُخَارِيُّ فِي مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ، إِذْ كَانَ عُمْرُهُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً (١٨ سَنَةً)، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مَادَّتَهُ خِلَالَ رِحْلَاتِهِ الأُولَى، وَلَمْ يَسْتَغْرِقْ كِتَابَتُهُ طَوِيلًا بَعْدَ أَنْ نَضِجَتْ مَادَّتُهُ فِي ذِهْنِهِ.

* حَالُهُ فِي تَصْنِيفِهِ:

كَانَ يُصَنِّفُهُ فِي المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بِجِوَارِ قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ. يَقُولُ البُخَارِيُّ عَنْ حَالِهِ تِلْكَ: "صَنَّفْتُ "التَّارِيخَ الكَبِيرَ" فِي الرَّوْضَةِ فِي اللَّيَالِي المُقْمِرَةِ (أَيْ عَلَى ضَوْءِ القَمَرِ) عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ". وَكَانَ يَقُولُ مُعْتَزًّا بِدِقَّتِهِ: "وَقَلَّ اسْمٌ فِي التَّارِيخِ إِلَّا وَلَهُ عِنْدِي قِصَّةٌ، إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ تَطْوِيلَ الكِتَابِ".

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٠١]، وَ[تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ المُشْتَبِهِ، لِابْنِ حَجَرٍ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، ج ١، ص ١١].

٣. الأَدَبُ المُفْرَدُ

كِتَابٌ مُتَخَصِّصٌ فِي الآدَابِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالأَخْلَاقِ، وَبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ.

*** قِصَّةُ تَصْنِيفِهِ وَحَالُهُ:**

رَأَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ أَنَّ أَحَادِيثَ الأَخْلَاقِ وَالآدَابِ تَسْتَحِقُّ كِتَابًا مُفْرَدًا مُسْتَقِلًّا عَنْ كِتَابِهِ "الصَّحِيحِ"، لِيَقْرَبَ تَنَاوُلُهَا لِلْعَامَّةِ وَالخَاصَّةِ. فَجَمَعَ فِيهِ الأَحَادِيثَ المَرْفُوعَةَ وَالآثَارَ المَوْقُوفَةَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي سُلُوكِ المُسْلِمِ يَوْمِيًّا.

مُدَّةُ تصنيفه:

صَنَّفَهُ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ صَحِيحِهِ، وَلَمْ يُنْقَلْ تَحْدِيدُ سَنَوَاتِ صُنْعِهِ بِالدِّقَّةِ، لَكِنَّهُ جَمَعَهُ مِنْ أُصُولِهِ الكَبِيرَةِ مِمَّا سَمِعَهُ فِي رِحْلَاتِهِ.

المَرْجِع: [مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٩٣]، وَ[كَشْفُ الظُّنُونِ عَنْ أَسَامِي الكُتُبِ وَالفُنُونِ، لِحَاجِي خَلِيفَةَ، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ، ج ١، ص ٤٧].

٤. خَلْقُ أَفْعَالِ العِبَادِ

كِتَابٌ عَقَدِيٌّ أَلَّفَهُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ لِلرَّدِّ عَلَى طَوَائِفِ المُبْتَدِعَةِ (كَالجَهْمِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ) فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ أَفْعَالِ العِبَادِ وَاللَّفْظِ بِالقُرْآنِ.

* **قِصَّةُ تَصْنِيفِهِ وَمُعَانَاتُهُ فِيهِ:**

صَنَّفَ البُخَارِيُّ هَذَا الكِتَابَ تَحْتَ وَطْأَةِ المِحْنَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا فِي نَيْسَابُورَ ثُمَّ بُخَارَى، حِينَ رَمَاهُ الحُسَّادُ وَالجَهَلَةُ بِأَنَّهُ يَقُولُ بِبِدْعَةِ "لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ". فَكَانَ حَالُهُ فِيهِ حَالَ المُدَافِعِ عَنْ عَقِيدَتِهِ وَسُنَّتِهِ بِالأَدِلَّةِ البَاهِرَةِ.

* **مُدَّةُ تصنيفه:**

كَتَبَهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ سَرِيعًا بَيْنَ تِلْكَ المِحَنِ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ حَقِيقَةَ مُعْتَقَدِهِ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّ حَرَكَاتِ العِبَادِ وَأَصْوَاتَهُمْ هِيَ المَخْلُوقَةُ.

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٤٥٧ - ٤٦٠]، وَ[البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، لِابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ هَجْرٍ، ج ١٤، ص ٥٣٠].

٥. كُتُب أُخْرَى بَارِزَة لِلإِمَامِ البخاري

لِلْبُخَارِيِّ مُصَنَّفَاتٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ صَنَّفَهَا خِلَالَ رِحْلَاتِهِ، مِنْهَا:

التَارِيخُ الأَوْسَطُ وَالتَارِيخُ الصغِيرُ:

كَانَ حَالُهُ فِيهِمَا تَخْصِيصُ مَادَّةِ "التَّارِيخِ الكَبِيرِ" وَتَلْخِيصُهَا حَسَبَ طَبَقَاتِ الرُّوَاةِ وَالأَزْمِنَةِ.

القِرَاءَةُ خَلْفَ الإِمَامِ:

صَنَّفَهُ لِتَقْرِيرِ مَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ كَثُرَ فِيهَا النِّزَاعُ فِي عَصْرِهِ، وَهِيَ وُجُوبُ قِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ لِلْمَأْمُومِ، وَجَمَعَ فِيهِ الآثَارَ الدَّالَّةَ عَلَى ذَلِكَ.

رَفْعُ اليَدَيْنِ فِي الصلَاةِ:

جُزْءٌ حَدِيثِيٌّ صَغِيرٌ صَنَّفَهُ لِإِثْبَاتِ سُنِّيَّةِ رَفْعِ اليَدَيْنِ عِنْدَ الرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ رَدًّا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ.

كِتَابُ الكُنَى:

أَلَّفَهُ لِمَعْرِفَةِ مَنِ اشْتَهَرَ مِنَ الرُّوَاةِ بِكُنْيَتِهِ دُونَ اسْمِهِ لِضَبْطِ الأَسَانِيدِ.

المَرْجِع: [تَهْذِيبُ الكَمَالِ، لِلْمِزِّيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ٢٤، ص ٤٣٨]، وَ[مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي، ص ٤٩٣].

خُلَاصَةُ حَالِهِ فِي التَّصْنِيفِ عُمُومًا:

كَانَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي كُلِّ كُتُبِهِ يَعْتَمِدُ عَلَى النَّقْدِ الذَّاتِيِّ الصَّارِمِ، وَالاعْتِكَافِ العِلْمِيِّ، وَالمَزْجِ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالكِتَابَةِ، مِمَّا جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِكُتُبِهِ القَبُولَ وَالهَيْبَةَ فِي قُلُوبِ العُلَمَاءِ وَالخَلْقِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

زواج الإمام البخاري

هل تزوج الإمام البخاري؟

نَعَمْ، تَزَوَّجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-، وَلَمْ يَعِشْ أَعْزَبَ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ بِسَبَبِ انْشِغَالِهِ التَّامِّ بِرِحْلَاتِ الحَدِيثِ وَجَمْعِهِ.

والدَّلِيلُ عَلَى زَوَاجِهِ:

ذَكَرَ تِلْمِيذُهُ اللَّصِيقُ بِهِ وَكَاتِبُهُ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ الوَرَّاقُ، قِصَّةً صَرِيحَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الإِمَامَ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ.

* **القِصَّةُ**: يَقُولُ وَرَّاقُ البُخَارِيِّ: كُنَّا مَعَ الإِمَامِ البُخَارِيِّ فِي رِحْلَةٍ عِلْمِيَّةٍ، فَكُنَّا نَنَامُ فِي غُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ البُخَارِيُّ يَقُومُ فِي اللَّيْلِ الواحِدَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً إِلَى عِشْرِينَ مَرَّةً، يُوقِدُ السِّرَاجَ (المِصْبَاحَ) وَيَكْتُبُ الحَدِيثَ وَيُصَلِّحُهُ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا أَبَا عَبدِ اللهِ، إِنَّكَ تُحَمِّلُ نَفْسَكَ مَشَقَّةً، وَلَوْ أَيْقَظْتَنِي لَكَفَيْتُكَ!

فَقَالَ لَهُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ بِأَدَبٍ وَحِرْصٍ عَلَى رَاحَةِ أَصْحَابِهِ: "أَنْتَ شَابٌّ وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَقْطَعَ عَلَيْكَ نَوْمَكَ". ثُمَّ قَالَ الوَرَّاقُ عَنْ حَالِ البُخَارِيِّ فِي بَيْتِهِ: "وَكَانَ إِذَا كَانَ بِالمَنْزِلِ (أَيْ فِي بَيْتِهِ

مَعَ أَهْلِهِ) رُبَّمَا قَامَتْ امْرَأَتُهُ لِتُوقِدَ لَهُ السِّرَاجَ، فَيَقُولُ لَهَا: لَا تَقُومِي، أَنَا أَكْفِيكِ".

المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٠٤]، وَ[مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ، دَارُ المَعْرِفَةِ، ص ٤٨١].

هَلْ كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ؟

ذَكَرَ كِبَارُ المُؤَرِّخِينَ أَنَّ الإِمَامَ البُخَارِيَّ كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ، وَمِنْهُمْ ابْنٌ يُدْعَى (أَحْمَدُ).

* **قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ**: "مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ وَلَمْ يُخَلِّفْ وَلَدًا ذَكَرًا إِلَّا ابْنَهُ أَحْمَدَ، وَكَانَ قَدْ نَشَأَ فِي طَلَبِ العِلْمِ أَيْضًا".

* **وَمِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَهُ** "أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيَّ" هُوَ الذِي تَوَلَّى مَعَ تَلَامِذَةِ الإِمَامِ تَرِكَتَهُ وَكُتُبَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

المَرْجِع: [تَغْلِيقُ التَّعْلِيقِ، لِابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، المَكْتَبُ الإِسْلَامِيُّ، ج ٥، ص ٤٣٠]، وَ[شَذَرَاتُ الذَّهَبِ، لِابْنِ العِمَادِ الحَنْبَلِيِّ، دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ، ج ٣، ص ٢٥٤].

سَبَبُ عَدَمِ شُهْرَةِ أَخْبَارِ عِائِلَتِهِ

لَـمْ تتَوَسَّـعْ كُتُـبُ التَّـارِيخِ وَالتَّـرَاجِمِ فِـي ذِكْـرِ تَفَاصِـيلِ زَوْجَـةِ البُخَارِيِّ أَوْ أَوْلَادِهِ لِسَبَبَيْنِ:

١. **طَبِيعَـةُ كُتُـبِ التَّـرَاجِمِ**: كَانَـتْ تُرَكِّـزُ شَـدِيدَ التَّرْكِيـزِ عَلَـى الجَانِـبِ العِلْمِـيِّ لِلْعَـالِمِ (شُـيُوخِهِ، تَلَامِذَتِـهِ، كُتُبِـهِ، رِحْلَاتِـهِ، وَقُـوَّةِ حِفْظِهِ) دُونَ الدُّخُولِ فِي التَّفَاصِيلِ الشَّخْصِيَّةِ العَائِلِيَّةِ إِلَّا نَادِرًا.

٢. **كَثْـرَةُ سَـفَرِهِ وَرِحْلَاتِـهِ**: قَضَـى الإِمَـامُ البُخَـارِيُّ مُعْظَـمَ حَيَاتِـهِ مُـرْتَحِلًا بَـيْنَ مَكَّـةَ، وَالمَدِينَـةِ، وَبَغْـدَادَ، وَالبَصْـرَةِ، وَالكُوفَـةِ، وَمِصْـرَ، وَالشَّـامِ، لِـذَلِكَ كَـانَ يَغِيـبُ عَـنْ أَهْلِـهِ فَتَـرَاتٍ طَوِيلَـةً طَلَبًـا لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.

وفاته

وَفَاةُ الإِمَامِ البُخَارِي وَتَفَاصِيلُ مَشْهَدِهَا الأَخِيرِ

مَرَّ بِنَا كَيْفَ أَنَّ البُخَارِيَّ أُوذِيَ وَطُرِدَ مِنْ بُخَارَى بِسَبَبِ رَفْضِهِ إِذْلَالَ العِلْمِ لِلْوَالِي خَالِدِ بْنِ أَحْمَدَ الذُّهْلِيِّ، فَخَرَجَ هَائِمًا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ.

١. مَكَانُ الوفَاةِ

تُوُفِيَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ تُسَمَّى (خَرْتَنْكُ)، وَهِيَ قَرْيَةٌ تَبْعُدُ نَحْوَ فَرْسَخَيْنِ (حَوَالِي ١٠ كِيلُومِتْرَاتٍ) عَنْ مَدِينَةِ سَمَرْقَنْدَ (تَقَعُ اليَوْمَ فِي دَوْلَةِ أُوزْبَكِسْتَانَ). وَكَانَ قَدْ نَزَلَ فِيهَا عِنْدَ أَقْرِبَاءَ لَهُ مِنْ آلِ سَعِيدٍ.

٢. كَيْفَ كَانَتْ وَفَاتُهُ؟

جَاءَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ أَنْ أَنْهَكَهُ المَرَضُ وَالنَّفْيُ وَالكَمَدُ، وَقَدْ نَقَلَ تِلْمِيذُهُ عَبْدُ القُدُّوسِ بْنُ عَبْدِ الجَبَّارِ السَّمَرْقَنْدِيُّ لَحَظَاتِهِ الأَخِيرَةِ فَقَالَ:

* جَاءَ رَسُولٌ مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ يَطْلُبُونَ مِنَ البُخَارِيِّ القُدُومَ إِلَيْهِمْ لِيَنْشُرَ العِلْمَ، فَأَجَابَ وَتَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ، وَلَبِسَ خُفَّيْهِ وَتَعَمَّمَ.

* فَلَمَّا مَشَى نَحْوَ الدَّابَّةِ حَوَالِي عِشْرِينَ خُطْوَةً لِيَرْكَبَ، ضَعُفَ جَسَدُهُ وَخَارَتْ قُوَاهُ، فَقَالَ: "أَرْسِلُونِي فَقَدْ ضَعُفْتُ".

* فَاضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَدَعَا بِدَعَوَاتٍ، ثُمَّ تَنَفَّسَ تَنَفُّسًا عَمِيقًا، فَفَاضَتْ رُوحُهُ الزَّكِيَّةُ رَحِمَهُ اللهُ.

* وَكَانَ قَدْ أَوْصَى قَبْلَ مَوْتِهِ فَقَالَ: "كَفِّنُونِي فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، وَاقْرَءُوا عَلَيَّ عِنْدَ دَفْنِي حَدِيثِي".

٣. مَكَانُ الدفْنِ

دُفِنَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي نَفْسِ القَرْيَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا (قَرْيَةِ خَرْتَنْكَ بِمُحَاظَفَةِ سَمَرْقَنْدَ)، وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ هُنَاكَ إِلَى اليَوْمِ، وَقَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ مَجْمَعٌ إِسْلَامِيٌّ كَبِيرٌ يَحْمِلُ اسْمَهُ.

٤. جِنَازَتُهُ وَالآيَةُ العَجِيبَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ عِنْدَ دَفْنِهِ

حَضَرَ جِنَازَتَهُ أَهْلُ قَرْيَةِ خَرْتَنْكَ وَالمَنَاطِقِ المُجَاوِرَةِ، وَشُيِّعَ فِي مَشْهَدٍ مَهِيبٍ رَغْمَ تَضْيِيقِ السُّلْطَانِ. وَقَدْ سَجَّلَ التَّارِيخُ حَادِثَةً فَرِيدَةً عِنْدَ دَفْنِهِ نَقَلَهَا ثِقَاتُ الرُّوَاةِ:

* يَقُولُ أَبُو الفَتْحِ حَاتِمُ بْنُ عَقِيلٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ: "لَمَّا دَفَنَّا أَبَا عَبْدِ اللهِ البُخَارِيَّ، فَاحَ مِنْ تُرَابِ قَبْرِهِ رَائِحَةٌ غَالِيَةٌ طَيِّبَةٌ كَأَنَّهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ! وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الرَّائِحَةُ أَيَّامًا كَثِيرَةً طَوِيلَةً حَتَّى جَعَلَ النَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَيَأْخُذُونَ مِنْ تُرَابِ القَبْرِ لِشِدَّةِ طِيبِ رَائِحَتِهِ، حَتَّى اضْطُرَّ أَهْلُ القَرْيَةِ لِعَمَلِ سِيَاجٍ وَخَشَبٍ حَوْلَ القَبْرِ لِحِمَايَتِهِ".

* قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ هَذِهِ العَلَامَةِ: "فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ عُجْبًا شَدِيدًا، وَظَهَرَ لِلنَّاسِ بَرَاءَتُهُ مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنَ البِدَعِ (أَيْ مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ)".

٥. تَارِيخُ وَفَاتِهِ:

* تُوفِّيَ لَيْلَةَ سَبْتٍ، وَهِيَ لَيْلَةُ عِيدِ الفِطْرِ (الأَوَّلُ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ) سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ (٢٥٦ هـ).

* وَصُلِيَ عَلَيْهِ يَوْمَ العِيدِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ.

* وَعَاشَ مِنَ العُمُرِ: **ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً إِلَّا ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا.**

المَرْجِعِ الكَامِلِ لِقِصَّةِ الوَفَاةِ وَالجِنَازَةِ: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، ج ١٢، ص ٤٦٧ - ٤٦٩]، وَ[البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، لِابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ هَجْرٍ، ج ١٤، ص ٥٣٢ - ٥٣٤]، وَ[تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، ج ٢، ص ٣٤].

تَرَكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فِي الحَدِيثِ الإِمَامُ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- لِلأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ ثَرْوَةً عِلْمِيَّةً هَائِلَةً، وَلَمْ يَكُنْ يَكْتُبُ كِتَابًا كَمَا يَكْتُبُ عَامَّةُ المُصَنِّفِينَ، بَلْ كَانَتْ لِكُلِّ كِتَابٍ عِنْدَهُ قِصَّةٌ، وَحَالٌ مِنَ العِبَادَةِ وَالتَّأَمُّلِ.

حالة الناس بعد وفاة الإمام البخاري

شَهِدَتِ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ عِنْدَ وَفَاةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فِي الحَدِيثِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- سَنَةَ (٢٥٦ هـ) حَالَةً مِنَ الحُزْنِ العَمِيقِ وَالأَسَى البَالِغِ، وَتَنَادَى العُلَمَاءُ وَالعَامَّةُ بِالتَّعَازِي، لِمَا كَانَ لَهُ مِنْ مَكَانَةٍ رَاسِخَةٍ فِي قُلُوبِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

أولًا: حَالُ النَّاسِ يَوْمَ وَفَاتِهِ وَجَنَازَتِهِ

تُوُفِّيَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- لَيْلَةَ عِيدِ الفِطْرِ (سَبْتَ لَيْلَةِ العِيدِ) عِنْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ، وَدُفِنَ يَوْمَ العِيدِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي قَرْيَةِ (خَرْتَنْكُ) قُرْبَ سَمَرْقَنْدَ.

* **حُزْنٌ شَدِيدٌ وَبُكَاءٌ**: لَمَّا انْتَشَرَ خَبَرُ وَفَاتِهِ، انْقَلَبَ عِيدُ النَّاسِ إِلَى بكاء وَحُزْنٍ شديد، وَاجْتَمَعَ الخَلْقُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَدَبٍ، وَبَكَى عَلَيْهِ الصِّغَارُ وَالكِبَارُ، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا هَذَا الجَبَلَ حَقَّ قَدْرِهِ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ بِسَبَبِ الفِتْنَةِ الَّتِي أُثِيرَتْ حَوْلَهُ.

* **كَثْرَةُ المُصَلِّينَ عَلَيْهِ**: صَلَّى عَلَيْهِ خَلْقٌ لَا يُحْصَوْنَ، وَكَانَ كَفَنُهُ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، وَفْقَ وَصِيَّتِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ٣٤].

ثَانِيًا: الكَرَامَاتُ المَشْهُورَةُ عِنْدَ دَفْنِهِ وَأَثَرُهَا فِي النَّاسِ

نَقَلَ الحُفَّاظُ بِأَسَانِيدِهِمْ قِصَّةً عَجِيبَةً حَدَثَتْ يَوْمَ دَفْنِهِ، وَكَانَتْ سَبَبًا فِي زِيَادَةِ يَقِينِ النَّاسِ بِمَقَامِهِ:

* **رَائِحَةُ المِسْكِ الذَّكِيَّةِ**: يَقُولُ أَبُو مَنْصُورٍ الشَّيْبَانِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الوَاحِدِ بْنَ آدَمَ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي المَنَامِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا وُقُوفُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْتَظِرُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيَّ**»، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَلَغَنِي مَوْتُهُ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ فِي التِّلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي رَأَيْتُ فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ.

* **تُـرَابُ القَبْـرِ المِعْطَـارُ**: يَقُـولُ مُحَمَّـدُ بْـنُ أَبِـي حَـاتِمٍ وَرَّاقُ البُخَـارِيِّ: لَمَّـا دَفَنَّـاهُ، فَـاحَ مِـنْ تُـرَابِ قَبْـرِهِ رَائِحَـةٌ غَالِيَـةٌ كَالمِسْـكِ وَالعَنْبَـرِ، فَاسْـتَمَرَّتْ هَـذِهِ الرَّائِحَـةُ أَيَّامًـا كَثِيـرَةً، حَتَّـى جَعَـلَ النَّـاسُ يَـأْتُونَ إِلَـى القَبْـرِ وَيَأْخُـذُونَ مِـنْ تُرَابِـهِ لِشِـدَّةِ طِيـبِ رَائِحَتِـهِ! فَلَـمْ نَقْـدِرْ عَلَـى حِمَايَـةِ القَبْـرِ حَتَّـى جَعَلْنَـا عَلَيْـهِ خَشَـبًا مُشَـبَّكًا كَالحِصْـنِ لِئَلَّا يُنْبَشَ التُّرَابُ.

وَكَـانَ هَـذَا المَوْقِـفُ مِمَّـا أَدْهَـشَ أَعْـدَاءَهُ وَحُسَّـادَهُ، فَجَـاءَ بَعْضُهُمْ يَبْكِي وَيَعْتَذِرُ مِمَّا صَنَعَ فِي حَيَاتِهِ.

المَرْجِـعُ: [سِـيَرُ أَعْـلَامِ النُّـبَلَاءِ، لِلْـذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَـةُ الرِّسَـالَةِ، ج ١٢، ص ٤٦٧]، وَ[مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٩٣].

ثَالِثًا: مَاذَا قَالَ العُلَمَاءُ عِنْدَ وَفَاتِهِ وَبَعْدَهَا؟

تَبَـارَى أَئِمَّـةُ العِلْـمِ فِـي رِثَائِـهِ وَبَيَـانِ الخَسَـارَةِ الفَادِحَـةِ الَّتِـي مُنِيَتْ بِهَا الأُمَّةُ بِرَحِيلِهِ:

١. الإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ (تِلْمِيذُهُ البَارُّ)

كَـانَ الإِمَـامُ مُسْـلِمٌ يَفْخَـرُ بِأَنَّـهُ تِلْمِيـذُ البُخَـارِيِّ، وَلَمَّـا مَـاتَ البُخَـارِيُّ كَـانَ يُـرَدِّدُ مُعْتَرِفًـا بِفَضْـلِهِ: «لَا يَبْغَضُـكَ إِلَّا حَاسِـدٌ،

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ. لَقَدْ مَاتَ مَنْ لَا يُوجَدُ لَهُ خَلَفٌ فِي الأُمَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الحَدِيثِ وَعِلَلِهِ».

* المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، ج ٢، ص ٢١].

٢. الإِمَامُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ

وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، قَالَ لَمَّا بَلَغَهُ نَبَأُ مَوْتِهِ: «خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يُخَلِّفْ بِخُرَاسَانَ مِثْلَهُ فِي العِلْمِ، وَالحِفْظِ، وَالزُّهْدِ، وَالوَرَعِ. لَقَدْ ذَهَبَ طَبِيبُ الحَدِيثِ».

* المَرْجِع: [الجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ، لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، ج ٧، ص ١٩١].

٣. الإِمَامُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ (صَاحِبُ السُّنَنِ)

وَهُوَ أَشْهَرُ تَلَامِذَةِ البُخَارِيِّ الَّذِي نَقَلَ عِلْمَهُ، حَزِنَ حُزْنًا أَدَّى بِهِ إِلَى العَمَى نَتِيجَةَ كَثْرَةِ البُكَاءِ؛ يَقُولُ عَنْهُ الحُفَّاظُ: «مَاتَ البُخَارِيُّ فَبَكَى عَلَيْهِ التِّرْمِذِيُّ حَتَّى عَمِيَ لِأَجْلِ حُزْنِهِ عَلَيْهِ. وَكَانَ التِّرْمِذِيُّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: لَمْ أَرَ فِي العِلَلِ وَالتَّارِيخِ وَمَعْرِفَةِ الأَسَانِيدِ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ، كَانَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ».

* المَرْجِع: [تَهْذِيبُ الكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ، لِلْمِزِّيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ٢٦، ص ١١٥].

٤. الحَافِظُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (إِمَامُ الأَئِمَّةِ)

كَانَ يَقُولُ بَعْدَ وَفَاةِ البُخَارِيِّ بِسَنَوَاتٍ كُلَّمَا ذُكِرَ عِنْدَهُ: «مَا رَأَيْتُ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَعْلَمَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحْفَظَ لَهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى كُتُبِهِ وَتَصَانِيفِهِ».

* المَرْجِع: [تَغْلِيقُ التَّعْلِيقِ، لِابْنِ حَجَرٍ، ج ٥، ص ٤٣٢].

رَابِعًا: حَالُ الكِتَابِ وَالصِّيتِ بَعْدَ الرَّحِيلِ

لَمْ يَمُتْ ذِكْرُ البُخَارِيِّ بِوَفَاتِهِ، بَلْ حَدَثَ العَكْسُ تَمَامًا:

١. **انْطِفَاءُ نَارِ الفِتْنَةِ**: مَاتَ كُلُّ مَنْ حَسَدَهُ أَوْ آذَاهُ فِي أَوَاخِرِ عُمْرِهِ وَنُسِيَ ذِكْرُهُمْ، بَيْنَمَا رَفَعَ اللهُ ذِكْرَ البُخَارِيِّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ.

٢. **إِقْبَالُ الدُّنْيَا عَلَى "الصَّحِيحِ"**: صَارَ كِتَابُهُ "الجَامِعُ الصَّحِيحُ" مَحَطَّ رِحَالِ العُلَمَاءِ، وَانْتَقَلَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ، وَمِصْرَ، وَالشَّامِ، وَالأَنْدَلُسِ، حَتَّى صَارَ يُقْرَأُ فِي المَسَاجِدِ الكُبْرَى تَبَرُّكًا وَتَعَلُّمًا، وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى سِيَادَتِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- كَلِمَتَهُ البَلِيغَةَ فِي خَاتِمَةِ حَالِهِ:

«وَمَاتَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ طَاهِرًا مَطْهُورًا، وَقَدْ تَلَقَّتِ الأُمَّةُ كِتَابَهُ بِالقَبُولِ، فَمَا طَرَقَ بَابَهُ طَاعِنٌ إِلَّا كَانَ طَعْنُهُ رَاجِعًا عَلَى نَفْسِهِ، وَبَقِيَ نُورُ صَنِيعِهِ مَرْفُوعًا فِي الخَافِقَيْنِ».

[البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ج ١٤، ص ٥٣٣].

ماذا ينقمون على الإمام البخاري

يُعَـدُّ الإِمَـامُ البُخَـارِيُّ -رَحِمَـهُ اللهُ- الهَـدَفَ الأَوَّلَ لِأَعْـدَاءِ السُّـنَّةِ وَالمُشَـكِّكِينَ فِيهَـا فِـي عَصْـرِنَا الحَاضِـرِ؛ لِأَنَّهُـمْ يَعْلَمُـونَ أَنَّ هَـدْمَ كِتَابِـهِ "الجَـامِعِ الصَّـحِيحِ" (**الـذِي هُـوَ أَصَـحُّ كِتَـابٍ بَعْـدَ القُرْآنِ**) يَعْنِي تِلْقَائِيًّا هَدْمَ الثِّقَةِ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ كُلِّهَا.

وَمَـا يَنْقِمُـهُ هَـؤُلَاءِ عَلَـى الإِمَـامِ البُخَـارِيِّ لَـيْسَ مَطَـاعِنَ عِلْمِيَّـةً حَقِيقِيَّـةً، بَـلْ هِـيَ شُـبُهَاتٌ تَقُـومُ عَلَـى الجَهْـلِ بِمَنَـاهِجِ المُحَـدِّثِينَ أَوْ تَعَمُّدِ التَّضْلِيلِ.

وَإِلَيْـكَ أَبْـرَزَ مَـا يَنْقَمُونَـهُ وَيُثِيرُونَـهُ فِـي المَحَافِـلِ العَصْـرِيَّةِ، مَـعَ الرَّدِّ العِلْمِيِّ المُوجَزِ عَلَيْهِمْ:

١. دعوى بين الفترة الزمنية بينه وبين النبي ﷺ

* **مَـا يَنْقَمُونَـهُ**: يَقُولُـونَ: "**كَيْـفَ يَكْتُـبُ البُخَـارِيُّ أَحَادِيـثَ بَعْـدَ مَضِـيِّ أَكْثَـرَ مِـنْ مِـائَتَيْ سَـنَةٍ عَلَـى وَفَـاةِ النَّبِـيِّ ﷺ؟ هَـذَا مَـدْعَاةٌ لِلنِّسْيَانِ وَالخَطَأِ**".

* **حَقِيقَـةُ المَـنْهَجِ**: هَـذَا الطَّـرْحُ فِيـهِ تَجَاهُـلٌ تَـامٌّ لِعِلْـمِ (الأَسَـانِيدِ)؛ فَالبُخَـارِيُّ لَـمْ يَنْقُـلْ عَـنِ النَّبِـيِّ دُونَ وَاسِطَةٍ، بَـلْ كَـانَ

يَرْوِي عَنْ شُيُوخٍ ثِقَاتٍ، عَنْ شُيُوخِهِمْ، عَنِ التَّابِعِينَ، عَنِ الصَّحَابَةِ، مُتَّصِلَةً كَالحَلَقَاتِ. وَكُلُّ حَلَقَةٍ قَدْ دُوِّنَتْ حَيَاتُهَا وَحِفْظُهَا دُونَ انْقِطَاعٍ.

المَرْجِع: [مَنَاهِجُ النَّقْدِ فِي عُلُومِ الحَدِيثِ، لِنُورِ الدِّينِ عِتْرٍ، دَارُ الفِكْرِ، ص ٤٥-٤٨].

٢. الطعن في أحاديث بزعمهم أنها خالفة العقل

* **مَا يَنْقِمُونَهُ**: يَنْتَقِدُونَ أَحَادِيثَ مُعَيَّنَةً فِي الصَّحِيحِ لَمْ تَسْتَسِغْهَا عُقُولُهُمْ المَادِّيَّةُ العَصْرِيَّةُ، مِثْلَ: (**حَدِيثِ ذُبَابَةٍ إِذَا وَقَعَتْ فِي الإِنَاءِ**)، أَوْ (**حَدِيثِ سِحْرِ النَّبِيِّ ﷺ**)، أَوْ (**أَحَادِيثِ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَالدَّجَّالِ**).

* **حَقِيقَةُ المَنْهَجِ**: يُحَاكِمُونَ النُّصُوصَ الغَيْبِيَّةَ بِقَوَانِينَ المَادَّةِ، وَالمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِالغَيْبِ.

أَمَّا حَدِيثُ: الذُّبَابِ فَقَدْ أَثْبَتَ العِلْمُ الحَدِيثُ طِبِّيًّا وُجُودَ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ فِيهِ.

وَأَمَّا سِحْرُ النَّبِيِّ فَكَانَ مَرَضًا جَسَدِيًّا عَارِضًا لَمْ يُؤَثِّرْ عَلَى بَلَاغِ الرِّسَالَةِ وَالتَّشْرِيعِ بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ.

المَرْجِع: [تَأْوِيلُ مُخْتَلِفِ الحَدِيثِ، لِابْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيِّ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، ص ١٢٠-١٢٥].

٣. النقْصُ مِنْ قُدْرَتِهِ الخَارِقَةِ عَلَى الحِفْظِ:

* مَا يَنْقِمُونَهُ: يَسْتَهْزِئُونَ بِمَا نُقِلَ فِي تَرْجَمَتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ صَحِيحٍ، وَمِائَتَيْ أَلْفِ حَدِيثٍ غَيْرِ صَحِيحٍ. وَيَقُولُونَ: "هَذَا فَوْقَ طَاقَةِ البَشَرِ، وَهِيَ مُبَالَغَاتٌ أَسْطُورِيَّةٌ".

* حَقِيقَةُ المَنْهَجِ: يَجْهَلُونَ أَنَّ (الحَدِيثَ) عِنْدَ العُلَمَاءِ لَيْسَ هُوَ المَتْنَ فَقَطْ، بَلِ الطَّرِيقُ وَالإِسْنَادُ. فَالقِصَّةُ الوَاحِدَةُ قَدْ يَكُونُ لَهَا مِائَةُ إِسْنَادٍ، وَيُعَدُّ كُلُّ إِسْنَادٍ عِنْدَهُمْ حَدِيثًا مُسْتَقِلًّا. مَعَ أَنَّ التَّارِيخَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَشْهَدُ بِوُجُودِ عَبَاقِرَةٍ يَمْلِكُونَ ذَاكِرَةً تَصْوِيرِيَّةً خَارِقَةً فِي حِفْظِ النُّصُوصِ وَالأَرْقَامِ.

المَرْجِع: [قَوَاعِدُ التَّحْدِيثِ مِنْ فُنُونِ مُصْطَلَحِ الحَدِيثِ، لِجَمَالِ الدِّينِ القَاسِمِيِّ، دَارُ النَّفَائِسِ، ص ٩٢].

٤. الشغَبُ بِقِصةِ مَحْوِهِ لِأَحَادِيثَ وَانْتِقَاءِ قَلِيلِهَا

* مَا يَنْقِمُونَهُ: يَقُولُونَ: "إِذَا كَانَ يَحْفَظُ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ ثُمَّ لَمْ يَضَعْ فِي كِتَابِهِ إِلَّا نَحْوَ سَبْعَةِ آلَافٍ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ أَهْمَلَ وَضَيَّعَ مُعْظَمَ السُّنَّةِ، أَوْ أَنَّ بَاقِي الأَحَادِيثِ كُلَّهَا كَذِبٌ!".

* حَقِيقَةُ المَنْهَجِ: صَرَّحَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ نَفْسُهُ بِعِلَّةِ ذَلِكَ فَقَالَ: "مَا أَدْخَلْتُ فِي كِتَابِي الجَامِعِ إِلَّا مَا صَحَّ، وَتَرَكْتُ مِنَ الصِّحَاحِ لِحَالِ الطُّولِ" (أَيْ كَيْ لَا يَكُونَ الكِتَابُ ضَخْمًا يَصْعُبُ حِمْلُهُ وَحِفْظُهُ). فَالْبُخَارِيُّ لَمْ يَحْصُرِ السُّنَّةَ فِي كِتَابِهِ، بَلْ صَنَّفَ كُتُبًا أُخْرَى كَمَا مَرَّ مَعَنَا (كَالأَدَبِ المُفْرَدِ)، وَتَرَكَ المَجَالَ لِغَيْرِهِ مِنَ العُلَمَاءِ كَمُسْلِمٍ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ لِيَجْمَعُوا بَاقِي الصِّحَاحِ.

المَرْجِع: [شُرُوطُ الأَئِمَّةِ الخَمْسَةِ، لِلْحَازِمِيِّ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، ص ٢٢-٢٥].

٥. إِثَارَةُ دَعْوَى البَشَرِيَّةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعْصُومًا

* مَا يَنْقِمُونَهُ: يَقُولُونَ كَلِمَةَ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ: "البُخَارِيُّ كِتَابُهُ بَشَرِيٌّ وَلَيْسَ قُرْآنًا، وَالبَشَرُ يُخْطِئُونَ، فَلِمَاذَا تُقَدِّسُونَهُ؟".

* حَقِيقَةُ المَنْهَجِ: عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا يَقُولُونَ بِعِصْمَةِ البُخَارِيِّ الشَّخْصِيَّةِ، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِـ(عِصْمَةِ إِجْمَاعِ الأُمَّةِ)؛ فَالْكِتَابُ حِينَ عُرِضَ عَلَى جَهَابِذَةِ الدُّنْيَا وَتَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ خَلَفًا عَنْ

سَلَفٍ بِالقَبُولِ، صَارَ نَقْدُهُ طَعْنًا فِي عَقْلِ الأُمَّةِ العِلْمِيِّ كُلِّهِ، وَلَيْسَ فِي شَخْصِ البُخَارِيِّ وَحْدَهُ.

المَرْجِع: [الرِّسَالَةُ المُسْتَطْرَفَةُ لِبَيَانِ مَشْهُورِ كُتُبِ السُّنَّةِ المُشَرَّفَةِ، لِلْكَتَّانِيِّ، دَارُ البَشَائِرِ، ص ١٩-٢١].

خُلَاصَةُ المَطَافِ:

إِنَّ النَّقْمَةَ العَصْرِيَّةَ عَلَى الإِمَامِ البُخَارِيِّ لَيْسَتْ لِذَاتِهِ، بَلْ لِكَوْنِهِ "**السَّدَّ المَنِيعَ**" الحَامِي لِأَقْوَالِ وَأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَمَتَى مَا اسْتَطَاعَ أَعْدَاءُ السُّنَّةِ إِسْقَاطَ هَذَا الجَبَلِ فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ، سَهُلَ عَلَيْهِمْ هَدْمُ بَقِيَّةِ الشَّرِيعَةِ، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِحِفْظِ دِينِهِ، وَبَقِيَ ثَنَاءُ الأُمَّةِ صَارِمًا كَمَا كَانَ.

دفاع أهل السنة والجماعة عن الإمام البخاري

إِنَّ الـدِّفَاعَ عَـنْ أَمِيـرِ المُـؤْمِنِينَ فِـي الحَـدِيثِ الإِمَـامِ البُخَـارِيِّ - رَحِمَـهُ اللهُ- لَـيْسَ دِفَاعًـا عَـنْ شَـخْصٍ بِمُفْـرَدِهِ، بَـلْ هُـوَ دِفَـاعٌ عَـنْ حِيَـاضِ السُّـنَّةِ النَّبَوِيَّـةِ المِعْوَانَـةِ، وَقَـدْ قَـامَ جَهَابِـذَةُ العِلْـمِ وَعُلَمَـاءُ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وَالجَمَاعَـةِ الثَّـابِتُونَ -قَـدِيمًا وَحَـدِيثًا- بِالتَّصَـدِّي لِكُـلِّ مَنْ حَاوَلَ النَّيْلَ مِنْهُ.

إِلَيْـكَ أَقْـوَالِ كِبَـارِ العُلَمَـاءِ الرَّاسِـخِينَ فِـي الـدِّفَاعِ عَـنِ الإِمَـامِ البُخَارِيِّ وَكِتَابِهِ، خَاصَّةً فِي عَصْرِنَا الحَاضِرِ:

أَوَّلًا: أَقْوَالُ كِبَارِ العُلَمَاءِ المُعَاصِرِينَ:

١. سَمَاحَةُ الإِمَامِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ-

كَـانَ الشَّـيْخُ ابْـنُ بَـازٍ صَـارِمًا فِـي التَّصَـدِّي لِمَـنْ يَطْعَـنُ فِـي الصَّـحِيحَيْنِ، وَمِمَّـا قَالَـهُ فِـي فَتَـاوَاهُ مُـدَافِعًا: «أَجْمَـعَ عُلَمَـاءُ الإِسْـلَامِ وَأَهْـلُ الحَـدِيثِ شَـارِبًا عَـنْ شَـارِبٍ عَلَـى أَنَّ "صَـحِيحَ البُخَـارِيِّ" وَ"صَـحِيحَ مُسْـلِمٍ" هُمَـا أَصَـحُّ الكُتُـبِ بَعْـدَ كِتَـابِ اللهِ، وَأَنَّ جَمِيـعَ مَـا فِيهِمَـا مِـنَ الأَحَادِيـثِ المَسْـنُودَةِ المَرْفُوعَـةِ صَـحِيحَةٌ

قَاطِعَةٌ، فَمَنْ طَعَنَ فِيهِمَا أَوْ فِي أَحَدِهِمَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ، يَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ، وَيُرِيدُ هَدْمَ الشَّرِيعَةِ».

* المَرْجِع: [مَجْمُوعُ فَتَاوَى وَمَقَالَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، لِلإِمَامِ ابْنِ بَازٍ، دَارُ القَاسِمِ، ج ٢٥، ص ٧٣].

٢. المِلَاءُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-

وَهُوَ مَنْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي خِدْمَةِ الحَدِيثِ، وَلَهُ رُدُودٌ هَائِلَةٌ عَلَى عَصْرَانِيِّي زَمَانِنَا، يَقُولُ فِي مُقَدِّمَةِ بَعْضِ كُتُبِهِ: «إِنَّ الهَجْمَةَ الشَّرِسَةَ الَّتِي يَقُودُهَا بَعْضُ المَفْتُونِينَ بِعُقُولِهِمْ ضَدَّ الإِمَامِ البُخَارِيِّ لَيْسَتْ عَنْ بَحْثٍ عِلْمِيٍّ، بَلْ هِيَ مَحْضُ جَهْلٍ بِمَصْطَلَحِ الحَدِيثِ وَأُصُولِ الرِّوَايَةِ.

وَإِنَّ "جَامِعَ البُخَارِيِّ" مَفْخَرَةٌ مِنْ مَفَاخِرِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَجِدِ الأُمَمُ الأُخْرَى لَهَا مِثِيلًا فِي الضَّبْطِ وَالتَّدْقِيقِ التَّارِيخِيِّ، وَالطَّعْنُ فِيهِ طَعْنٌ فِي هُوِيَّةِ الأُمَّةِ».

* المَرْجِع: [سِلْسِلَةُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، لِلأَلْبَانِيِّ، مَكْتَبَةُ المَعَارِفِ، ج ١، ص ٣٢].

٣. العَلَّامَةُ الفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ العُثَيْمِينَ -رَحِمَهُ اللهُ-

يَقُولُ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ فِي شَرْحِهِ لِمُصْطَلَحِ الحَدِيثِ مُحَذِّرًا مِنَ المَشْرُوعِ العَصْرَانِيِّ لِهَدْمِ السُّنَّةِ: «يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ أَعْدَاءَ السُّنَّةِ اليَوْمَ لَا يَسْتَطِيعُونَ الطَّعْنَ فِي الرَّسُولِ ﷺ مُبَاشَرَةً لِأَنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا عِنْدَ النَّاسِ عَلَانِيَةً، فَمَاذَا يَصْنَعُونَ؟ يَأْتُونَ لِلْحَلْقَةِ الَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ وَأَمْثَالُهُ فَيَطْعَنُونَ فِيهِمْ، فَإِذَا سَقَطَتِ الحَلْقَةُ سَقَطَتِ السُّنَّةُ تِلْقَائِيًّا، فَالذَّبُّ عَنِ البُخَارِيِّ هُوَ ذَبٌّ عَنْ شَرِيعَةِ اللهِ».

* المَرْجِع: [شَرْحُ المَنْظُومَةِ البَيْقُونِيَّةِ فِي مُصْطَلَحِ الحَدِيثِ، لِابْنِ عُثَيْمِينَ، دَارُ الثُّرَيَّا، ص ٤١].

٤. العَلَّامَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانُ -حَفِظَهُ اللهُ-

يَقُولُ الشَّيْخُ الفَوْزَانُ فِي إِحْدَى مُحَاضَرَاتِهِ المَنْشُورَةِ فِي الرَّدِّ عَلَى العَقْلَانِيِّينَ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ فِي الفَضَائِيَّاتِ وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ وَيَقُولُونَ: "نَحْنُ لَا نَقْبَلُ إِلَّا القُرْآنَ، وَالبُخَارِيُّ فِيهِ وَفِيهِ"، هَؤُلَاءِ هُمْ (القُرْآنِيُّونَ) الجُدُدُ الَّذِينَ حَذَّرَ مِنْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَإِنَّ تَلَقِّي الأُمَّةِ لِصَحِيحِ البُخَارِيِّ بِالقَبُولِ هُوَ حُجَّةٌ إِجْمَاعِيَّةٌ قَاطِعَةٌ، وَالإِجْمَاعُ مَعْصُومٌ، فَلَا عِبْرَةَ بِشُذُوذِ مَنْ شَذَّ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ».

* المَرْجِع: [الإِعَانَةُ عَلَى فَهْمِ السُّنَّةِ (مَجْمُوعُ مَقَالَاتٍ)، لِلشَّيْخِ صَالِحٍ الفَوْزَانِ، دَارُ العَاصِمَةِ، ص ٨٨].

ثَانِيًا: أَقْوَالُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ وَالدُّفَاظِ الَّتِي تُصَحِّحُ دِفَاعًا فِي كُلِّ عَصْرٍ

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَجْعَلُونَ حُبَّ البُخَارِيِّ وَالدِّفَاعَ عَنْهُ مِعْيَارًا لِمَعْرِفَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ:

١. الإِمَامُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ -رَحِمَهُ اللهُ-

كَانَ يَقُولُ كَلِمَةً تَارِيخِيَّةً تُبَيِّنُ مَنْزِلَةَ البُخَارِيِّ مَعَ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ: «مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ هُوَ فَقِيهُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَمَنْ طَعَنَ فِيهِ فَاتَّهِمْهُ فِي دِينِهِ».

* المَرْجِع: [تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، ج ٢، ص ٢٧].

٢. الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الأَخْرَمُ -رَحِمَهُ اللهُ-

قَالَ كَلِمَةً عَمِيقَةً تَرُدُّ عَلَى مَنْ يُرِيدُ نَقْدَ البُخَارِيِّ بِغَيْرِ عِلْمٍ: «لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا كَتَبَ طَلَبَ الحَدِيثِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ جَلَسَ يَرُدُّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ، لَكَانَ مَضْحَكَةً لِلنَّاسِ! كَيْفَ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الذِي مَيَّزَ العِلَلَ وَصَحَّحَ الأَسَانِيدَ؟!».

* المَرْجِع: [سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ج ١٢، ص ٤٦٢].

٣. الحَافِظُ أَبُو هَمَّامٍ المَحَارِبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-

قَالَ مُبَيِّنًا عَدَمَ قُدْرَةِ الحُسَّادِ عَلَى لَحَاقِ قَامَتِهِ: «مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِثْلَ البُخَارِيِّ، وَمَا يَقُولُ فِيهِ الحَاسِدُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الجَاهِلُ فِي نُورِ الشَّمْسِ إِذَا غَطَّتْهُ السَّحَابُ».

* المَرْجِع: [مُقَدِّمَةُ فَتْحِ البَارِي (هَدْيُ السَّارِي)، لِابْنِ حَجَرٍ، ص ٤٨٥].

ثَالِثًا: خُلَاصَةُ قَاعِدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ

تَتَّفِقُ كَلِمَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ: * البُخَارِيَّ كِتَابُهُ مَعْصُومٌ بِالإِجْمَاعِ لا بِالعِصْمَةِ الشَّخْصِيَّةِ، أَيْ أَنَّ إِجْمَاعَ الأُمَّةِ

عَلَى صِحَّتِهِ جَعَلَ الأَحَادِيثَ فِيهِ مَقْطُوعًا بِثُبُوتِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

* كُلُّ مَن تُشَاهِدُهُ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ يَغْمِزُ الإِمَامَ البُخَارِيَّ، فَإِنَّ مَقْصَدَهُ الحَقِيقِيَّ لَيْسَ نَقْدَ الرَّاوِي، بَلْ هُوَ يَبْغِي التَّفَلُّتَ مِنْ أَحْكَامِ السُّنَّةِ (**كَالعَقَائِدِ، وَالصَّلَاةِ، وَالحُدُودِ، وَالحِجَابِ**) الَّتِي لَا تُوجَدُ تَفَاصِيلُهَا إِلَّا فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: «**قَدْ عَادَى البُخَارِيَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الحُسَّادِ وَأَهْلِ البِدَعِ، فَمَا زَادَهُ اللهُ إِلَّا رِفْعَةً، وَصَارَ كِتَابُهُ أَصَحَّ الكُتُبِ، وَمَاتَ أَعْدَاؤُهُ وَذَهَبَ أَثَرُهُمْ، وَبَقِيَ ذِكْرُ البُخَارِيِّ عَالَمِيًّا طَيِّبًا**» [البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ج ١٤، ص ٥٣١].

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المحتويات

مقدمة الشيخ فيصل الحاشدي ٥
مقدمة ٧
ترجمة الإمام البخاري رحمه الله تعالى..... ١٢
نسب الإمام البخاري..... ١٤
بلد الإمام البخاري..... ١٨
صفاته الخَلقيَّة وهيئته..... ١٩
كرم الإمام البخاري وسخائه..... ٢٢
حفظه لكتاب الله تعالى..... ٢٦
بداية طلبه للعلم..... ٢٨
رحلة الإمام البخاري رحمه الله في طلب العلم ٣٣
أبرز مشايخ الإمام البخاري..... ٣٥
أبرز تلامذة الإمام البخاري..... ٣٧
رؤى النبي صلى الله عليه وسلم..... ٣٩
نبوغه في العلم..... ٤٣
ثناء أهل العلم على الإمام البخاري رحمه الله تعالى..... ٤٥

ثناء الأئمة على كتابه الصحيح..... ٥٠
امتحان أهل بغداد لحفظه..... ٥٤
عبادته وزهده وورعه..... ٥٦
جهاده في نشر العلم..... ٦٣
معاناته وابتلائه في نشر العلم..... ٦٥
أعظم المواقف التي حصلت للإمام البخاري رحمه الله ٦٩
أماكن إقامته لنشر العلم ٧٢
مذهب الإمام البخاري..... ٧٤
مصنفاته..... ٧٨
زواج الإمام البخاري..... ٨٥
وفاته..... ٨٨
حالة الناس بعد وفاة الإمام البخاري..... ٩٢
ماذا ينقمون على الإمام البخاري..... ٩٨
دفاع أهل السنة والجماعة عن الإمام البخاري..... ١٠٣
المحتويات..... ١٠٩